338

HARLEQUIN

روايات أحلام

سأبكي غداً

هيلين بروكس

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

سأبكي غداً

منذ دخوله الى مكتبها . أحست روزي بعيني "كينغسلي وارد" تدعوانها . إلا أنها ارتأت الاحتكام إلى عقلها وترجيح كفة العمل على العواطف . وعندما وقع الطرفان اتفاقية عمل وأعلن كينغسلي أنه يريدها لإتمام الصفقة . ثار غضبها . صحيح أن الهدف كان مهنياً بحتاً . لكن جاذبية روزي ومقاومتها لسحره جعلاه يقرر مطاردتها حتى يفوز بها . الصفقة خطيرة ولكن كينغسلي لم يعتد الخسارة !

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-220-9

هيلين بروكس

تعيش هيلين بروكس في (نورثامبتون شير) وهي متزوجة وأم لثلاثة أولاد. أوقات فراغها نادرة جداً، فهي متدينة ملتزمة وربة منزل منهمكة وأم مثالية. لكن هواياتها تشمل القراءة والسباحة والاهتمام بالحديقة والسير مع كلابها الصغيرة النشيطة التي تحبها كثيراً. حققت حلمها بالكتابة في سن الأربعين، وأرسلت أول إنتاج لها إلى (ميلز أند بونز).

١ ـ ماذا يريد؟

ـ آنسة ملبورن؟ السيد وارد حضر في موعده المحدد في العاشرة.

بدا صوت سكرتيرة روزالي خالياً من هدوئه وعملانيته المعتادين وقد أدركت هي السبب فلقد سبق والتقت السيد «وارد» في حفل عشاء منذ أسابيع مضت. استرقت نظرة إلى ساعة يدها الذهبية فوجدت أنها العاشرة إلا ثماني دقائق. لقد جاء مبكراً. أرغمت نفسها على التنفس بعمق قبل أن تقول:

ـ أرجوك.. أطلبي من السيد وارد الانتظار بعض الوقت، جيني.

ـ أجل، آنسة ميلبورن.

أقفلت السماعة فأسندت روزالي ظهرها على الكرسي الجلدي الكبير وقد تسارعت نبضات قلبها.

هذا الموقف سخيف، لا بل سخيف جداً. ما الذي دهاها يا ترى؟ كانت أشبه بقطة على صفيح ساخن منذ أخذ كينغسلي موعداً منذ أسبوع أو منذ تولّت سكرتيرته المهمة مع سكرتيرتها.

كان باستطاعتها طبعاً أن تصرّ على أن يلتقي أحد الشركاء الثلاثة الآخرين في الشركة التي تنتمي إليها بعدما أعلمته في رسالتها المهذبة التي نقلتها سكرتيرتها بشدة انهماكها في العمل وأنها حددت للسيد وارد موعداً مع زميل لها، إلا أن هذه الرسالة لم تصب هدفها.

فقد أعرب السيد وارد عن استعداده للانتظار حتى تتفرّغ للقائه حسبما قالت سكرتيرته جيني مشدّدة على رفضه لقاء شخص آخر.

نُصح السيد وارد بالتعامل مع الآنسة ملبورن شخصياً.. ولطالما عمل على أساس التوصيات الشخصية.

ولقد حضر الآن.. وجالت عينا روزالي بعصبية على المكتب الكبير المضاء والذي غدا بمثابة بيتها نظراً لساعات العمل الطويلة التي تقضيها فيه، حتى أنها استلقت ونامت على تلك الكنبة التي تشغل الزاوية عندما كانت الحاجة تستدعي ذلك.

أدركت في هذه اللحظة تحديداً أن هذا الاجتماع يثقل كاهلها وكأنها لم تلتق به في الواقع في منزل جايمي.

وقفت روزالي ومشت باتجاه النافذة الزجاجية التي تطل على نصف مدينة كينغستون. تأملت الشارع من دون أن تعير اهتماماً الأشكال الصغيرة التي تعدو في الأسفل وقد انسدلت غرّتها فلامست حاجبيها.

ما زالت تذكر دخولها إلى مرسم جايمي الكبير والمترّف في «ريتشموند». كانت تنظر إلى المدعوين حين وقع نظرها على زوج من العينين الزرقاوين الثاقبتين، عينين تقلصتا إلى حجم نقطتين مسلطتين على وجهها. كانت تعي أن دايڤيد الواقف قربها يحاول إخبارها أمراً لكنها عجزت كلياً عن السير والكلام.

ثم حررتها تينك العينان الزرقاوان بزرقة سماء الصيف الصافية، وأدار الرجل رأسه ليجيب المرأة التي كانت تتأبط ذراعه. التقطت نفساً عميقاً فسألها دايڤد قلقاً:

ـ هل أنت بخير، لي؟ ماذا هناك؟

ـ ماذا؟ لا شيء.

وأجبرت نفسها على الابتسام قبل أن تضيف: «بل قل لي كيف حالك أنت، فهذا الأهم؟».

لطالما كان دايڤد صديقاً قديماً وعزيزاً منذ أيام الجامعة وقد مرّ بتجربة طلاق مؤلمة ومريرة أوصلته إلى حافة الانهيار العصبي منذ أشهر خلت.

كانت الليلة تجربته الأولى في الانخراط في المجتمع منذ هجرته

زوجته مع ولديهما لتقيم مع عشيقها الجديد وقد كان يرتعش بوضوح في سيارة الأجرة منذ لحظات. وافق دايڤيد على مغادرة شقة العزوبية التي اشتراها مؤخراً عندما اتصلت به، لأنهما يشعران بالارتياح عند خروجهما معاً.

ـ أنا بخير.

كانت ابتسامته أشبه بتكشيرة فتعاطفت روزالي معه عندما أردف قائلاً:

ـ جل ما في الأمر أنني غير بارع في مثل هذه الأمور، حفلات العشاء وغيرها... لطالما كانت آن محط الأنظار في الحفلات، فهي مولعة بها.

ولطالما كانت «آن» باردة القلب، مؤذية واستعراضية وسرعان ما تنفر منها كل امرأة تتعرف إليها لأنها تجعل من كل رجل ألعوبة بين يديها. لكن الوقت غير مناسب للإشارة إلى ذلك، كما خطر لروزالي.

ردّت بحدة: «هراء، لطالما كنت رفيقاً رائعاً. جل ما في الأمر أن ثقتك بنفسك تزعزعت قليلاً مؤخراً».

جاء ردها ناعماً ثم أردفت: «والآن سنطوف بين المدعوين ونبتسم ونجامل بعض الناس فيما نحتسي أحد الكوكتيلات اللذيذة التي يحضرها جايمي وسنلقي نظرة على طاولات العشاء المعدة. هل تعلم أنه اتفق مع أحد الطهاة في «هاتفيلد» الليلة؟ يبدو أنه صديق أحد أصدقاء جايمي الذي عرض عليه مبلغاً طائلاً لقاء إعداد حفل العشاء لهذه الأمسية؟».

ـ أحقاً؟

يعمل دايڤد خبير محاسبة لذا أثار الأمر اهتمامه فسأل بفضول: «وما مقدار هذا المبلغ الطائل؟».

ـ اسأل غابي، فلا بدّ أنها ستسعى لتعرف.

قادته روزالي إلى واحدة من أكثر الأشخاص فضولاً وهي معروفة بسحب المعلومات من أي شخص كان. وقفت معهما تنصت باستمتاع إلى حديثهما عندما استرعى انتباهها صوت ناعم وراءها:

- روزالي. . . اسم غريب، فرنسي الأصل على ما أظن؟

فاستدارت لترى صاحب اللكنة الأميركية الواضحة.

كان كينغسلي وارد فارع الطول، مفتول العضلات، ما جعل السترة الأنيقة أكثر من ملائمة لبنيته، واحمرت وجنتا روزالي للذكرى. كان صلباً وذا وسامة قاسية، أما قسماته فحادّة تدل على أنه لا يلين. تأمّلته ملياً وقد اعتراها شعور بالخدر فعجزت عن الرد.

كان شعره الأبنوسي مقصوصاً بعناية وقد زادت أهدابه الكثيفة من لمعان عينيه إلا أن رجولته الطاغية هي التي أربكتها. . . أزعجتها، لا بل أحرجتها فتاقت إلى أن تلوذ بالفرار. لكنها وعوضاً عن ذلك، رفعت ذقنها برشاقة مستجمعة شجاعتها وردت ببرود: «أمي فرنسية».

- هذا ما يفسّر هذه الأناقة الكلاسيكية.

أوه! يا للكياسة! إن أكثر ما تمقته هو الرجال الجذابون ذوو الكلام الناعم الذين يعتقدون أنهم هبة من السماء للجنس الناعم.

لم تدرك أن أفكارها تجلت في نظراتها إلى أن اختفت البسمة الدافئة والتعبير المهتم عن ذاك الوجه الصلب.

اكتست نظرته طابعاً جليدياً. . وأردف ببرود:

- من الواضح أنني قطعت عليك حديثاً شيقاً وأنت متشوّقة لاستكماله، أرجو المعذرة.

عند ذلك الحد، استدار بعيداً تاركاً إياها خجلى من نفسها. وهي تكره هذا الشعور.

لم يكن بإمكانها تفادي أحداث العشاء إذ صادف موقعها على العشاء بين دايفد وكينغسلي وارد. كان بارداً ومهذباً معها لكنه كان ساحراً ومرحاً مع الآخرين. وعندما جلست مصغية إلى نكاته على العشاء، أرغمت نفسها على الإقرار بأنه رفيق ممتاز.

لكن لا بدّ أن الرجال من أمثال كينغسلي وارد يشكلون في الغالب رفقة ممتعة، ذكّرت روزالي نفسها بذلك وهي تستدير مبتعدة عن النافذة. هم

يحبون أن يكونوا محور الاهتمام لمجرد تمتعهم بمؤهلات طبيعية كالشكل الحسن والبنية التي يحسدهم عليها غالبية الرجال. وهم يتحلون بالثقة بالذات وبجاذبية ساحرة تزيد من إغرائهم.

ألهذا السبب ارتدت ملابسها بعناية لا متناهية هذا الصباح؟ عندئذ، أسكتت صوت ضميرها اللجوج معلنة النفي القاطع!!

لطالما كانت حريصة على أناقتها في المكتب وبما أنها ستقابل زبوناً جديداً فللأمر أهمية قصوى. هذا كل ما في الأمر. . بالطبع نعم.

ذكّرتها ساعة يدها بأن الساعة بلغت العاشرة إلا دقيقة، وأنّ ساعة الصفر حلت. . عاودت الجلوس وراء مكتبها وسرحت شعرها ثم أخذت نفساً عميقاً.

قاومت رغبتها في تفقد زينتها في المرآة الصغيرة التي في حقيبتها وشعرت بالفخر لفعلتها. ضغطت على زر الهاتف الداخلي قائلة بمرح: «حسناً. أنا جاهزة للقاء السيد وارد الآن جيني».

بعد لحظة أو اثنتان، انفتح الباب ودخلت جيني مفسحة المجال لكينغسلي وارد الذي لحق بها إلى داخل الغرفة. لاحظت روزالي الأمر بانزعاج فيما تصلب ظهرها لمرأى عينيه الزرقاوين النافذتين. إلا أنها مستعدة له هذه المرة. كان قلبها ينبض بقوة ولكنها جسّدت ظاهرياً صورة سيدة الأعمال الناجحة، الباردة، الواثقة من نفسها، والمتحكمة بزمام الأمور. لقد صممت على أن تتولى زمام المبادرة وتدير دفة المسائل:

- صباح الخير سيد وارد. هلا جلست؟

لم تمدّ يدها لتصافحه كما جرت عليه العادة في هذه الحالة، لكنها لم تشأ أن تلمسه وكانت تعي مدى سخف موقفها هذا.

لم تكن لدى كينغسلي وارد الموانع نفسها إذ خطا في المكتب وقد مدّ يده للمصافحة وهو يجيب:

- صباح الخير روزالي. هل أستطيع مناداتك روزالي؟ كما يمكنك مناداتي كينغسلي أو كينغ، كما تشائين.

وأكمل جملته بصوت قاطع لكن روزالي نظرت إلى وجهه فتبينت السخرية فيه. عندما غمرت يدها الصغيرة يده العملاقة الدافئة والقاسية، جاهدت لكبت أي رد فعل لديها. لكن أنفاسها لم تكن منتظمة عندما قالت وهي تسحب يدها بسرعة متخلية عن لباقتها:

ـ كيف يمكن لشركة «كار وشركاه» أن تخدمك؟

وأشارت إليه بالجلوس مجدداً.

حسناً، إنها تلك المرأة الباردة، المتأنقة والرسمية حسبما يذكرها من ذاك العشاء البغيض. جلس كينغسلي في المقعد المواجه لمكتبها عاقداً ساقيه الطويلتين فيما استقرت يداه على ذراعي الكرسي في وضعية رجولية.

صحيح أنها استبدلت فستانها الأنيق ببزة زرقاء رائعة التفصيل، لكن اللون الأزرق المائل إلى الفضي أظهر لمعان شعرها الكستنائي الرائع، وحوّل عينيها الرماديتين إلى حجرين من اللؤلؤ. لم يرَ مثل هذه المرأة الجميلة والطبيعية منذ سنوات، فكيف أظهرت له التحريات التي أجراها عنها أن ما من رجل في حياتها حالياً ولا حتى مؤخراً حسب معارفها؟ قد تكون سيدة تعشق مهنتها ومتفانية لها، لكن... فمها الممتلىء الناعم وذقنها الصغيرة لا يتناسبان مع هذه المواصفات.

ابتسم ببطء قائلاً:

ـ لم تكن بداية تعارفنا جيدة في حفل عشاء جايمي، أليس كذلك؟ ما رأيك في المحاولة من جديد؟

وماذا لو لم نفعل؟ خطر هذا لروزالي وهي ترفع حاجبيها بتساؤل قبل أن تجيب ببرود:

ـ آسفة... لم أفهم ما تقصده.

تأملها لبرهة كافية لاشعال النار في خديها ثم هز كتفيه بلا مبالاة وقد استوى في كرسيه والتقط حقيبته التي وضعها جانباً عند جلوسه.

ـ تملكت شركات «وارد» ما يزيد عن مئة هكتار من الأراضي ما بين

أوكسفورد ولندن قبل بضعة أسابيع.

أعلن هذا باقتضاب وهو يفتح الحقيبة ليخرج منها بعض الأوراق ثم أردف:

ـ أريد بناء فندق ونادٍ يضم ملعب غولف شاسع وحدائق ومساحة مخصصة لإقلاع الطائرات وهبوطها تكون مشابهة لممتلكاتي في الولايات المتحدة. ها هي الرسوم الهندسية مع التفاصيل كاملة. هل أثرت اهتمامك؟

ووضع الأوراق على المكتب قبل أن يستقر مجدداً في كرسيه.

هل أثار اهتمامها؟ وأدركت روزالي فجأة أنها فغرت فمها من الدهشة فأطبقته بسرعة وقد توهجت وجنتاها.

لقد تصرفت معه بوقاحة تامة فيما كان يسعى طوال الوقت إلى عرض هذا المشروع الضخم على شركة «كار وشركاه». لِمَ لم يخبرها أحدهم أنه مقاول ثري؟

إلا أنها كانت تهتم بدايثيد معظم الوقت، كما ذكرت نفسها بحدة؛ فيما تقصّدت تجاهله لما تبقى من الأمسية. بدا صوتها طبيعياً عندما قالت: «هل لي بدراستها للحظة؟».

ـ بالتأكيد. خذي وقتك.

وفكرت في سرّها: ركزي «لي»، ركزي. وارتعشت الأوراق بين يديها فيما كانت تفضّها لتلقي عليها نظرة مطولة، فأخذت نفساً عميقاً وحاولت التحكّم بدقّات قلبها.

لم يساعدها تحديق كينغسلي وارد مباشرة إلى وجهها فبالرغم من أنها لم تكن تنظر إليه الآن، إلا أنها شعرت بنظره الثاقب مسلطاً على بشرتها.

بعد فترة، تغلّب حبّها لعملها واستغرقت في دراسة الرسوم وتفاصيلها وقد بدأ الحماس يغزو كيانها. بدا المشروع مهمة ضخمة وفرصة رائعة لكن عليها الإقرار بأن أيّ واحد من شركاتها مؤهل أكثر منها لتولي زمام مشروع ضخم كهذا. فشركاؤها مايك وبيتر ورون تجاوزوا الأربعين من

العمر وقد ناهز مايك الخامسة والخمسين وهو يتفرّد بتجربة غنية فيما هي الشريك الأصغر سناً. يجب أن توضح لكينغسلي وارد أنّ أحد شركائها سيصّر على تولّي زمام الأمور إذا فازت شركة «كار وشركاه» بالمشروع.

رفعت رأسها. كان يجلس في الوضعية السابقة نفسها منكئاً إلى ظهر المقعد بارتياح وثقة تقطعان الأنفاس لكن تلك السلطة الملموسة الصادرة عنه لم تزعجها هذه المرة فكل حواسها منهمكة في إيجاد الطريقة المثلى لترجمة أفكارها فقالت: «سيد وارد».

لكنه قاطعها بنعومة: «كينغسلي».

أومأت وقد توهجت وجنتاها بعد أن كانتا قد استعادتا لونهما الطبيعي. لطالما انزعجت من سهولة احمرار وجنتيها لكن هذا الاحمرار يتماشى مع شرارات شعرها الكستنائي الحمراء، كما لم يكن باستطاعتها منع ذلك. فاستهلت الحديث مجدداً:

ـ كينغسلي. إنه مشروع رائع وأنا أدرك أن «كار وشركاه» ستغتبط لتوليه إذا ما رغبت في ذلك...

ـ ولكن؟

لم تعتد على أن يقاطعها أحد وكانت تعتبر هذا التصرف قمة الوقاحة لذا تنفست مجدداً قبل أن تستطرد: «أخشى أنك تتناقش مع الشخص الغير المناسب فشركائي أكبر سناً وأكثر تجربة مني وهم قادرون على إدارة هذا المشروع أفضل مني بكثير مع أنني أود تسلمه».

تململ بخفة في الكرسي وأنزل ساقه عن الأخرى فظهرت عضلاته تحت بزته التي تحمل توقيع «أرماني». توترت أعصاب روزالي فيما ردّ بهدوء: «تودين تسلمه؟».

ـ نعم، طبعاً ولكنك تحتاج إلى شخص يملك..

ـ إذن، تسلمي المشروع بنفسك.

بدا وكأنه لم يسمعها فحدقت إليه، لكنه تابع يقول بنعومة: «دعيني أقولها بطريقة مختلفة. لست غبياً روزالي ولم أكن لأعرض عليك المهمة

لو لم أرَ أنك قادرة على القيام بها. لقد تأكدت من أوساط مختلفة أنك تتولين المهام بمهارة وقد أخبرني العديدون أنك أكثر من ماهرة في حلّ المشاكل مع البنّائين قبل حصولها. فهل أنا محق؟؟».

واعتقلتها العينان الزرقاوان فعجزت إلا عن الإيماء برأسها.

ـ حسناً.

تكلّم كما لو أن المسألة سُويت فشعرت روزالي بالرعب. تنحنحت قبل أن تقول حذرة:

ـ كل ما في الأمر أن القرار لا يعود لي.

وافق باختصار وهو يهم بالوقوف معلناً: «لا، بل يعود لي».

نهضت روزالي بدورها ورأسها يدور. بدا عليه أنه يهم بالرحيل. هل سيغادر الآن؟

بدأ يتكلم وهو يتجه نحو الباب:

ـ ناقشي الأمر مع شركائك ولكن أعلميهم أنني سأوكل المهمة إليك أرجوك. إذا رغبوا في مكالمتي فلديك رقمي في انكلترا وفي الولايات المتحدة في الأوراق التي أعطيتك إياها.

ثم توقف واستدار لينظر إليها قبل أن يسألها بهدوء: «هل تشعرين أن باستطاعتك القيام بالمهمة فيما لو سنحت لك الفرصة؟ قلت للتو إنك تودين القيام بالمهمة ولكن الأمر مختلف. أستطيع التساهل معك بالنسبة لموعد التسليم قليلاً».

كانت لا تزال تحت تأثير المفاجأة ولكن صوتها لم يحمل أي تردد حين أجابت:

ـ أجل، أستطيع القيام بذلك، لم أتول مهمة بمثل هذه الأهمية من قبل ولكن علي الإقرار بقدرتي... نعم. خلال أسبوع أو أكثر ينتهي المشروع الذي أعمل عليه. وبعدئذ، لا يوجد ما يمنعني من الإشراف على هذا المشروع.

أجاب بصوت حريري ناعم: «جيد. ستعلمك سكرتيرتي بالمطلوب

ولكنني أحب الإشراف بنفسي على سير الأمور لذا سيتعين علينا الاجتماع مراراً خلال الأشهر القادمة».

رمشت روزالي. لقد بدت كلماته بريئة ولكنها مغلفة بالغموض بالنسبة إليها فأرغمت نفسها على عدم التصرّف بغباء. الأمر كله مجرد عمل. من الواضح أن كينغسلي وارد مقاول ناجح وثري كما أن وسامته ورجولته تمكّنانه من اصطياد أي امرأة. هذا الأمر أثار حفيظتها خلال عشاء جايمي الشهير فقد أزعجتها تلك الطريقة التي تستعرض فيها كل امرأة نفسها أمامه بابتذال إذ سيتأثر حتماً باهتمامهن ومن يفوّت الفرصة لو كان مكانه؟؟

كان ينتظر ردها فاستجمعت شجاعتها وجاهدت لرسم ابتسامة مهذبة على وجهها ثم قالت باعتدال:

ـ أنت لم تسلم شركة «كار وشركاه» العمل بعد، ولا يزال المشوار طويل أمامنا، أليس كذلك؟ أنت لم تسأل عن الأتعاب التي سأتقاضاها لقاء خدماتي.

أدركت متأخرة أنه كان بإمكانها عرض ذلك بطريقة أفضل إذ التمعت العينان الزرقاوان مجدداً وقال بجفاف: «وكم تتقاضين بالضبط روزالي؟».

لو أنها تتكلم مع شخص سواه، لحوّلت الأمر إلى دعابة أو كانت لتجمّد مخاطبها بإحدى نظراتها الجليدية التي تدربت عليها منذ سنوات، إلا أن كينغسلي وارد لم يكن أيّ شخص. وكانت النيران في داخلها تتآكلها.

اختارت روزالي أسلوب الجبن وتصرفت ببلاهة مقصودة فأجابت بضيق:

ـ أتقاضى مبلغاً طائلاً لقاء عمل من هذا النوع إذ ليس من السهل التعامل مع المتعهدين والوسطاء ولاّ تجري الأمور دائماً حسب الخطة المرسومة. قد لا تتوفر المعدات عند اللزوم على سبيل المثال أو قد يطرأ عطل فني يجعل المهام أصعب ويعيق التسليم. لكن الأمور لا تجري

بالطبع على هذا النحو عادة.

رد بدماثة جعلتها تعي أنها تراوغ: «تماماً».

فأردفت: «أول ما أحتاج إليه هو اجراء جردة لمستلزمات المشروع حتى أدق التفاصيل. قد تطول اللائحة لتشمل مئات الصفحات لإتمام عمل من هذا النوع».

رفع يده باحتجاج وقد بدا صوته أكثر قساوة عندما قال: «تعنين أنك ستكلفينني كثيراً أليس كذلك؟».

لم يسبق لها أن قابلت أحداً وذت لو تلكمه على أنفه أكثر من هذا الرجل، كما لم تصادف شخصاً يحوّل محادثة بسيطة إلى حديث مليء بالايحاءات المغرية كهذا الرجل. أم هل تراها السبب؟

صدمتها هذه الفكرة. هل تتخيل حصول ذلك كله؟ أزعجها شعورها بالارتباك وبدا الأمر جلياً في صوتها عندما أضافت:

ـ يفضل دائماً اختيار الأفضل للمدى البعيد.

علق بنعومة وقد بانت لكنته الأميركية بقوة: «إنه رأيي أيضاً. ولهذا السبب أنا واثق من أنك ستطلعيني قريباً على ما سيستجد معك وستعطيني نوعاً من سقف لكلفة المشروع، اتفقنا؟».

ـ نعم طبعاً.

وفتح الباب قبل أن تدرك أنها لم تشكره على الفرصة الرائعة التي قدّمها لها. وقبل أن ينطق لسانها بما خطر لها، كان قد رحل من دون أن يلقي نظرة عليها أو حتى أن يقول كلمة وداع.

* * *

٢ ـ موعد مع الذكريات

عملت روزالي بجد أكبر في الأسابيع القليلة التالية. فما إن انهت ما كان بين يديها حين قدّم لها كينغسلي وارد عرضه الرائع حتى باشرت العمل على قائمة المعدات اللازمة للمشروع. أزعجها إحساسها بقلق شركائها الثلاثة على المسألة برمتها. عندما أخبرت مايك وكار الشريكين الآخرين عن الاجتماع مع كينغسلي وارد، اتصل مايك بكينغسلي في اليوم نفسه وعاد متأخراً إلى مكتبها فيما كانت روزالي تفكر بالعودة إلى المنزل.

نظر مايك إلى المرأة الحسناء الرشيقة القامة التي يقدّرها والتي يوليها عناية أبوية منذ أول يوم باشرت فيه العمل لدى «كار وشركاه» حين تخرجت من الجامعة أي قبل عشر سنوات. فقال:

ـ لا شك في أنه يريدك لهذه المهمة. هل تعرفين الكثير عنه؟

حدّقت إليه روزالي دهشة فمايك هو أكثر من زميل لها. فبعد انضمامها إلى الشركة بفترة وجيزة، اكتشفت أنها كانت زميلة ابنته ويندي في الجامعة. وبعد اجتماعها بالفتاة، اعتادت قضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزل آل كار الجميل في هارو.

صادف نشوء هذه الصداقة العائلية في فترة حرجة من حياتها الشخصية فعنت الكثير بالنسبة إليها ولا تزال حتى بعد زواج ويندي وإقامتها في الخارج. وعندما أصبحت روزالي شريكة صغيرة في الشركة تضاعفت مسؤولياتها وقلّ اختلاطها بالمجتمع فندرت لقاءاتها مع العائلة.

أقرّت روزالي بعد لحظة أو اثنتين: «لا أعرفه البتة. لم؟ أليس جديراً بالثقة؟».

ابتسم مايك: «أحقاً لا تعرفينه جيداً؟ أجل، إنه جدير بالثقة، فقد بنى والده شركات وارد منذ ثلاثين عاماً لكنها كانت سلسلة من الفنادق لا تتعدى ثلاثة أو أربعة فنادق متوسطة الفخامة، قبل استلام كنغسلي الدفّة. لقد غيّر كينغسلي كل هذا إذ كانت لديه رؤيا خاصة تقضي بشراء الأراضي وجعل اسم وارد مرادفاً للفنادق الفخمة التي تشتمل على ملاعب غولف ومئات الهكتارات من الحدائق، أي ذاك النوع من الأماكن التي يقصدها الأغنياء والمشاهير للتنعم بالسكينة والرفاهية. بصراحة يا عزيزتي، كينغسلي وارد محشو بالمال».

ابتسمت روزالي قبل أن تقول رافعة حاجبيها: «ولم إذاً تلك الرّنة في صوتك لدى سؤالي عما أعرفه عنه؟».

ـ أيّ رنة؟

وابتسم مايك للتعبير المرتسم على وجه شريكته الشابة وأعلن بصوت يشوبه الإحراج:

ـ حسناً، فهو يتمتع بسمعة معيّنة إضافة إلى ثرائه وحياته المترفة.

وارتفع حاجبا روزالي أكثر فأكمل رفيقها: «لقد تحوّل إلى محط اهتمام الجميع».

وفكرت روزالي في سرّها: مايك العزيز، إنه الوحيد الذي يستعمل مصطلحات قديمة لوصف زير نساء، ثم أردفت مداعبة بلكنة أميركية ساخرة: «تقصد أنه يعشق النساء؟».

اختفت ابتسامة مايك الآن وقال بهدوء: «إن كان يحبّهن فلا بأس، لكنه يحب الكثيرات منهن».

قاطعته روزالي بجفاء: «وما علاقتنا بالموضوع؟».

ثم أعلنت غير مصدّقة: «آه هيا مايك، أنت لا تعتقد حقاً أن رجلاً بالمواصفات التي ذكرتها للتو قد يضيع وقته سدى على إغواء فأرة ريفية

مثلي، أليس كذلك؟ إنه معتاد على المشاهير وعلى العارضات اللواتي جُلن العالم وخبرن حتماً الكثير».

وأثر مايك بواقعية: «روزالي أنت امرأة جميلة وما من شخص عاقل قد يصفك بالفأرة».

لطالما فوجىء مايك بجهل روزالي المطلق لتأثيرها في الجنس الآخر. ما الذي تراه يا ترى عندما تنظر إلى المرآة؟ لقد سأل نفسه مراراً هذا السؤال وكان يجيب دائماً بأنها ترى حتماً شيئاً مغايراً لما يراه الآخرون وذلك بفضل المدعو مايلز ستيوارت. أضاف:

ـ على أيّ حال، كل ما أريد قوله هو ضرورة الاحتراس، اتفقنا؟ كنت لأقول الشيء نفسه لويندي لو أنها في وضع مماثل وأنت تعلمين ذلك.

ـ أجل أعلم مايك.

ثم وضعت يداً على كُم سترته وأردفت: «وأقدر لك ذلك لكن ما من داع للقلق».

خطر هذا الحديث الذي دار منذ بضعة أسابيع لروزالي فيما كانت تدوّن آخر غرض في قائمة الأدوات المطلوبة وأسندت ظهرها إلى المقعد أمام شاشة الكمبيوتر.

طلب منها كينغسلي الاتصال به ما إن تنهي مهمتها وقبل إرسال نسخ إلى المتعهدين لتحديد كلفة كل جزء من العمل. لقد ترك لديها انطباع بأنه من الرجال الذين يحبون التدخل في أدق التفاصيل. ستحاول أن تتصل على رقم الهاتف المحلي الذي أعطاها إياه لتسأل سكرتيرته عن مكان وجوده في العالم. منذ محادثتها الشهيرة مع مايك، انهمكت في اكتشاف كل شيء عن كينغسلي وارد واكتشفت أنه يملك فنادق في جزر الكاريبي وفي الولايات المتحدة، وهو يتنقّل باستمرار. كما اكتشفت أن مايك لم يكن يبالغ في وصف حياة كينغسلي العاطفية.

طلبت روزالي الرقم بنفسها اليوم إذ وصلت إلى المكتب باكراً جداً لإنهاء قائمة المعدات، وبما إن الساعة لم تتجاوز بعد الثامنة صباحاً لم

تكن جيني قد وصلت بعد. لا بدّ أن اتصالها سيحوّل إلى المجيب الآلي في مكتب كينغسلي الجديد الكائن في أوكسفورد لكنها لا تمانع في ذلك. فعليها أن تنتهي من هذه المهمة التي ترد ضمن سلسلة الأعمال التي يتوجب عليها إنجازها اليوم، ويمكن لسكرتيرته أن تتصل بجيني في وقت لاحق.

ـ كينغسلي وارد.

كادت روزالي تسقط السماعة أرضاً حين سمعت صوته العميق البارد فيما انتفض قلبها.

ومضت لحظة أو اثنتين قبل أن تتمكن من أن تقول: «كـ... كينغسلي؟؟».

لِمَ تتلعثم بحق السماء؟ راحت تتساءل في سرّها وهي تصغي إلى أنفاسها المتقطعة المخنوقة. واستطردت روزالي وقد بدا صوتها أكثر تماسكاً: «روزالي ملبورن من شركة «كار وشركاه».

ساد صمت لبرهة قبل أن يقول: «نعم روزالي؟».

ازدردت بريقها. كانت تفضل نبرة صوته الباردة والجافة على تلك الدافئة المثيرة التي استعملها للفظ اسمها. وأجبرت نفسها على الابتعاد عن أي تصرّف سخيف واستكمال حديثها بتهذيب:

ـ آسفة لإزعاجك باكراً. أردت ترك رسالة على المجيب الآلي لسكرتيرتك أعلمها فيها أن قائمة المعدات التي كنت تود الإطلاع عليها جاهزة كما أردت الاستعلام عن مكان إرسالها. لم أكن واثقة مما إذا كنت في انكلترا أو في الولايات المتحدة.

علق بقوله: «حسناً، أنا في لندن اليوم وقد أردت الاتصال بك فثمة أمور أخرى أود مناقشتها معك على أيّ حال. هل أنت حرّة لتناول الغداء معي؟».

ـ الـ... غداء؟

ها هي تتلعثم ثانية! وتشوّش ذهنها. كانت متفرّغة ساعة الغداء لكن آخر ما تود فعله هو قضاء بضع ساعات برفقة كينغسلي وارد من دون الأمل

في الهروب منه. لكن المنطق تغلّب في النهاية. إنه عمل ضخم، وعليها التواصل مع كينغسلي بما أنه من الرجال الذين يصرون على الإشراف على كل شيء. وأرغمت نفسها على إبقاء صوتها حيادياً وهي تقول: «أجل... يناسبني ذلك».

ـ عظيم!

لم يبدُ عليه أنه شعر بترددها عندما قال: «سأمر لاصطحابك قرابة الظهر، اتفقنا؟».

ـ نعم شكراً.

وأقفل الخط من دون أيّ كلمة وداع أو أيّ عبارة مجاملة. من الواضح أنه رجل قليل الكلام. بقيت روزالي تحدّق إلى الهاتف لثوان معدودة وقد أدركت أنه لم يسعها رفض عرض كينغسلي. كان بإمكانها أن ترفض دعوته على الغداء لكن لا فائدة من ذلك إذا كان يريد مناقشة بعض الأمور معها، كما أنّ عليها أن تتفق معه لإنجاح علاقتهما المهنية. نظرت إلى لباسها. كانت ترتدي بنطلوناً رمادياً ضيقاً وقميصاً أبيض مزرّراً مع سترة صوفية لؤلؤية تحسباً لأمسيات شهر أيار الباردة في طريق عودتها سيراً على الأقدام من المكتب إلى البيت. كان منزلها يبعد نحو نصف ميل عن المكتب ولطالما اعتادت أن تقطع المسافة سيراً على قدميها لتستمتع بنسيم الصباح والمساء. ولم تكن تستعمل سيارتها إلا عند زيارة الورش أو مهندس الديكور أو المتعهد أو أي شيء من هذا القبيل.

جعدت أنفها وهي تتأمل بثيابها. كينغسلي وارد معتاد حتماً على رؤية النساء بثياب متأنقة. عندئذ، انتبهت لمجرى أفكارها، فراعها ما وصلت إليه. إنه مجرد غداء عمل مع زبون وهذا كل ما في الأمر. يكفي أنّ ثيابها مرتبة كما لن يلاحظ كينغسلي على الأرجح ما ترتديه.

لكنه خالف توقعاتها. وصل كينغسلي ليقلها قبل حلول الظهر وتأملها بثبات فيما كانت جيني تفسح له المجال ليدخل إلى المكتب.

بذلت روزالي جهداً كبيراً لتتصرف معه بشكل عادي كما لو أنه ليس

الرجل الجذاب الذي يبتسم بإشراق. ومدّت يدها مرغمة هذه المرة قائلة: «كينغسلي، تسرّني رؤيتك مجدداً».

كانت ابتسامته متكاسلة، ساخرة كما لو أنه يدرك أنها تكذب:

ـ إنه شعور متبادل.

سألت بحدة ما إن أبعدت يدها التي أصابها الخدر: «لقد جهزت كل شيء إذا كنت ترغب في إلقاء نظرة قبل أن نغادر؟».

لم تفارق عيناه اللتان تشبهان الكريستال الأزرق الصافي وجهها عندما أعلن: «لاحقاً فأنا جائع».

ـ حسناً.

انهمكت بإحضار سترتها الصوفية وحقيبتها راجية أن يستر انهماكها ارتباكها.

لقد نسيت مدى زرقة تينك العينين المذهلتين. ولو لم تكونا عينيه، لافترضت حتماً أن صاحبهما يضع عدسات لاصقة.

ـ أتمنى ألا يكون برنامجك حافلاً بعد الظهر؟ أود زيارة الموقع بعد الغداء فمهندس البناء سيتواجد هناك وسيفيدك الاجتماع به؟

ـ بالطبع، أنا متفرغة لك.

وفكرت روزالي بجدول أعمالها المقرر ودعت الله أن يلهمها الهدوء.

انفرجت شفتاه الممتلئتان، وردّ: «يا لهذا الكرم؟»!

كان هذا كرماً منها فعلاً، فقد سبق لها أن عاينت الموقع مرتين وما من داع للقاء المهندس اليوم حسبما خطر لروزالي بعدائية. قد تحتاج إلى زيارة الموقع عندما تُفضّ العروض ويتم اختيار شركة بناء ويبدأ العمل. سيتعين عليها مراقبة الشركة والتأكد من التزامها بالأسعار التي قدّمتها، وسيتوجب عليها أن تزور الموقع مراراً لتقدير العمل المنجز مقارنة مع الدفعات الدورية.

ـ هل نذهب؟

وأمسك ذراعها ليخرجها من المكتب قبل أن يتسنى لها الاسترسال في

مزيد من التأملات. وشعرت في سرّها بالتسلية لدى رؤية تعبير الحسد البادي على وجه جيني. لو تعلم سكرتيرتها أنها مستعدة لتبادل الأمكنة معها لتحل مكانها على الغداء!

تقع شركة «كار وشركاه» ضمن صف من المنازل ذات الشرفات المسيّجة. لدى خروجهما من المبنى، قادها كينغسلي إلى سيارة فضية اللون تليق بجايمس بوند. شكرت روزالي العناية الإلهية التي جعلتها ترتدي بنطلوناً اليوم فالسيارة منخفضة ولا تناسب ارتداء أي شيء آخر. جلست على المقعد الجلدي وقد ازدادت ثقة بنفسها لكن شعورها هذا تبخّر عندما استلم كينغسلي دفة القيادة فبات قريباً، قريباً جداً منها، واشتمت عطره اللذيذ. طردت روزالي هذه الأفكار من مخيلتها وابتلعت بريقها مرات عدة وعندما تكلمت بدا صوتها مرتفعاً عمّا عهدته: «هل المكان بعيد؟ أين سنأكل؟».

شعرت وكأنها قطة على صفيح ساخن. هل يعود السبب إليه أم لمجرد أنها مع رجل؟

رد ببساطة فيما كان يشق طريقه بعيداً عن الزحمة: «كلا، المكان ليس بعيداً. يملك صديق لي مقهى صغيراً قرب حديقة غينسبوري وغالباً ما أزوره عندما أكون في لندن. إلا إذا كنت تفضلين مكاناً آخر؟».

ونظر إليها متسائلاً فيما هزّت رأسها بالنفي فتماوج شعرها الحريري وتوهج تحت أشعة الشمس فشعر كينغسلي بتصلّب في ظهره وأدار رأسه مركزاً على الازدحام.

وبعد لحظات مشحونة، سجّلت روزالي خلالها كل حركة بسيطة يقوم بها فيما راح داخل السيارة يتقلص أكثر وأكثر، قالت بحذر: «أنا متحمسة جداً لهذا العمل ولم أشكرك بعد لأنك زرتني بعد حفل العشاء. من قال لك إني مشرفة تنفيذية؟».

قام بحركة غير قانونية ما أغضب السائقين قبل أن يقول:

ـ ماذا؟ لا أذكر، أيهم الأمر؟

التفت لينظر وراءه فيما كان يغيّر خط مسيره فاسترقت روزالي نظرة إلى مؤخرة رأسه حيث يصل الشعر خفيفاً إلى عنقه. إنه جذاب إلى حدّ لا يصدَّق. عندما استدار الجسم الضخم مجدداً، أدارت رأسها وراحت تنظر أمامها. شعرت وكأنها متطفلة، وبذلت قصارى جهدها لتجعل كل عضلة من عضلاتها تسترخي. لكنها لم تكن تتوقع أن تُحشر في صندوق صغير معه.

يبدو أن كينغسلي لا يحبذ الثرثرة خلال القيادة فاستكملا رحلتهما القصيرة في صمت شبه مطبق. وبعد فترة، توقفا أمام مطعم صغير فاستجمعت روزالي شجاعتها، بالرغم من عجزها عن فهم سبب الدوار الذي يسببه لها كينغسلي وارد.

صحيح أنه رجل جذاب تشعّ منه سلطة نابعة من غناه ونفوذه، لكنه قاسٍ وعديم الشفقة، ومغرور وفقاً للمعلومات التي جمعتها عنه. وهو يستمتع برفقة الكثير من النساء ثم يتخلى عنهن، إذا ما صحّ نصف الروايات التي سمعتها عنه، ولم تشك روزالي في صحتها بالنظر إليه. كانت تمقت الرجال أمثاله، أولئك الذين يأخذون من دون أن يعطوا، فهم يطالبون بما يريدونه وكأنه حقهم الشرعي.

في الواقع، كان هؤلاء يمقتونها أيضاً. قاطع كينغسلي أفكارها بقوله: «ألم يعجبك؟».

ـ ماذا!!

استدارت في مقعدها فيما كان صاحب الصوت الهادىء يراقبها. أدركت في تلك اللحظة أن وجهها عكس أفكارها فيما كانت تحدّق إلى الخارج من دون أن ترى البناء أمامها فردّت بسرعة:

ـ أنا آسفة. كنت أفكر في شيء آخر. يبدو المكان جميلاً.

قال بهدوء: «لا تدعي المظاهر الخادعة تغشك. فالمقهى ليس مكاناً فخماً أو راقياً، بل يتدافع الزبائن على بابه للدخول بسبب جودة طعامه».

خرج السيارة بنعومة وسهولة فحسدته روزالي على ذلك. كانت تدرك بأنها ستجد صعوبة في النهوض من المقعد المنخفض. فتح لها الباب ومدّ يداً باتجاهها قبل أن تحاول النهوض، وما إن وجدت نفسها واقفة على الرصيف حتى حاولت تجاهل طوله الفارع ومشاعرها المضطربة مجدداً.

فتح لها كينغسلي باب المطعم وأشار إليها بالدخول أمامه. في الواقع، إنها كاملة الأوصاف بالنسبة إليه، إنها امرأة بحق، لكنها تتخذ دوماً موقفاً دفاعياً عنيداً ما يشير إلى أنها مرّت بتجربة حب فشلت فشلاً ذريعاً. فمن الذي تخلّى عنها وهل حصل الأمر مؤخراً؟ لقد جزم جايمي وبعض أصدقائها الذين حضروا العشاء أنهم لا يعلمون شيئاً ولكنه لم يكن واثقاً من أنه يصدّقهم. على أيّ حال، لقد أثارت اهتمامه منذ تلك الليلة لدرجة أنه تتبع خطاها وحملها على قبول عرض العمل، إنما بعد تحققه من مدى كفاءتها طبعاً. فبالرغم من أنه يستمتع بلعب دور الصياد من باب التغيير إلا أنه غير مستعد للمغامرة بمشروع مثمر بسبب رغبته في امرأة أوضحت جلياً عدم رغبتها في رؤيته.

ـ كينغ! يا صديقي.

لم تتوقع روزالي أن يكون المدعو «غلين» أجنبياً، فاسم غلين بدا لها إنكليزياً، غير أن الرجل النحيف الذي هرع نحوهما لدى دخولهما المكان، كان إيطالياً وكادت تقسم على ذلك. قبّل كينغسلي على وجنتيه ولم يفاجأ الأخير بتصرفه ثم حوّل اهتمامه إليها قائلاً:

ـ لقد أحضرت أجمل امرأة في لندن لتشرّف مطعمي. كيف لي أن أشكرك، يا صديقي؟

ردّ كينغسلي بجفاء: «كفى يا غلين إذ لن يجدي إطراؤك مع السيدة فهي زميلة قبل أن يحملك خيالك بعيداً».

ـ إذاً، لدي أمل؟

كانت العينان السوداوان شقيتين ولكنهما مفعمتان بالمرح. فبادلته روزالي الضحك قائلة:

ـ إذا كان الطعام يضاهي الاستقبال فلا عجب في أنك شعبي.

ـ روزالي، غلين هو أمهر بائع كلام معسول في هذا الجزء من الكرة الأرضية. غلين، أقدّم لك روزالي ملبورن، المشرفة المنفذة على مشروعي في انكلترا.

بدت الدهشة على الوجه اللاتيني وهو يقول: «صحيح؟ ولكنك جذابة جداً لتلك الوظيفة. لا يسعني تصديق ذلك».

ـ بل صدّق يا صاحبي.

لاحظ كينغسلي ضمور ابتسامة روزالي فأسرع بها نحو المقاعد وقال لزميله: «هل طاولتي المعتادة شاغرة؟».

ـ بالطبع يا صديقي، فمنذ استلمت حجزك، باتت الطاولة لك.

وافاهما غلين بعد لحظة ليسألهما عما يودّانه من شراب وقدّم لهما قائمتي طعام قبل الإختفاء مجدداً.

تأملت روزالي القاعة التي لم تكن كبيرة لكنها تغص بالزبائن فلاحظت أن الأثاث ليس فخماً. جلسا في ركن صغير يوحي بالحميمية من دون أن يحجب المنظر. عندما استقرت عيناها على كينغسلي، وجدته متكئاً بخفة على الطاولة فقال بنعومة: «لم يقصد غلين شيئاً من ملاحظته الأخيرة. هذه طريقته في الكلام فزوجته كانت تعمل قبل أن يبتاعا هذا المكان لذا فهو لا يمانع في أن تعمل المرأة».

أومأت روزالي باقتضاب. فتعليق الرجل الإيطالي بشأن عملها لم يعجبها في الواقع ولطالما عانت من هذا الأمر في الماضي.

بعد تخرجها من الجامعة وتدرُّجها لثلاث سنوات والتحاقها بمعهد لتدريب الكفاءات، شعرت بأنها اكتفت من النظريات وأن الوقت حان لتباشر العمل كمشرفة تنفيذية في حقل ظل لسنوات حكراً على الرجال. اكتشفت أن عليها أن تكون أفضل حتى من زملائها الرجال لتؤخذ على محمل الجد في وظيفة مليئة بالمصاعب والطرق الملتوية. فغالبية البنائين يحرجون لرؤيتها في الموقع وما إن يدركوا أنها تجيد عملها ولا يمكن أن

تخدع أو تقبل بأيّ مماطلة أو عمل غير متقن، حتى يصبحوا خانعين.

لطالما سمعت مايك والآخرين يتذمرون من اضطرارهم للإشراف على البنائين والإصغاء لشكاوى الزبائن عندما تسوء الأمور، لكنها وبقليل من السحر والجاذبية تدير مهماتها بدقة متناهية.

وتابع كينغسلي بنعومة: «بالحديث عن المهن. ما الذي حملك على العمل كمشرفة تنفيذية على أعمال البناء؟».

حدّقت روزالي إليه فهي لم تكن تدرك أنهما يتحدثان عن شيء معين. وبعد لحظة أو اثنتين هزت كتفيها وأسبلت أهدابها فدارت نظراتها عن تلك العينين الثاقبتين فيما ردت بحذر:

ـ أعتقد أني أحب هذا المزيج من الأعمال المكتبية ومعاينة ورش البناء.

ردَّ كنغسلي بهدوء: «التجارة عالم صعب خصوصاً عندما تتعامل المرأة مع رجال ربما لا يروقهم الخضوع لأوامر امرأة شابة وجذابة أيضاً».

هزت روزالي كتفيها بلا مبالاة مجدداً وأوضحت من دون أن تبتسم: «أنا أقوى مما أبدو عليه».

نظر أليها والتوى حاجبيه فيما ومضت عيناه بشكل يثير الاضطراب قبل أن يهمس بنعومة:

ـ هل أنت سيدة الألغاز الآن؟

ـ ما من لغز.

تكلمت بسرعة فائقة وقد أدرك كلاهما ذلك فدفنت وجهها في قائمة الطعام.

إذن... هل أصاب الهدف؟ تساءل كينغسلي بصمت فيما ضاقت عيناه قليلاً. أسند ظهره إلى مقعده مع وصول النادل حاملاً زجاجة عصير وزجاجة مياه غازية. لقد لقنته الحياة دروساً عدة خلال سنوات عمره الخمس وثلاثين، ومنها ألا يثق بامرأة لا سيما إذا كانت جميلة ذات شعر ذهبي حريري وعينين بلون سماء عاصفة، عينين مليئتين بالأسرار في

أعماقهما الملبّدة بالغيوم.

إن أسرارها لا تتعدى حتماً نوع الصباغ الذي تستعمله لشعرها، وبعد أسابيع، سيتلهّف للابتعاد وللانتقال إلى أمور أخرى... لكن شعر روزالي يبدو طبيعياً...

والتقط قائمة الطعام منزعجاً من أفكاره ومن العالم كله من دون أن يستطيع فهم السبب.

اقترح بلطف: «إن الكراث المشوي مع سلطة الليمون والنعناع بداية ممتازة وهي أحد الأطباق التي يتميّز بها غلين، أم لعلك تفضلين حساء السمك المتوسطي؟ كما أوصيك بتذوق روستو الحمل أو طبق لحم العجل مع الأعشاب».

ابتسمت روزالي بتهذيب، لكنها انتقت طبق سوفليه البقلة يليه فيليه السمك المسلوق مع الهليون وأملت طلبها على غلين الذي ظهر فجأة كجني القمقم.

أرجعت ظهرها إلى الوراء وارتشفت بضع جرعات من كأسها وهي تنظر إلى كينغسلي الذي راح يناقش منافع لحم الحمل والعجل مع صديقه.

لمَ وافقت على الخروج لتناول الغداء مع هذا الرجل المربك الذي لا تعرفه جيداً وألزمت نفسها بقضاء طيلة فترة بعد الظهر تقريباً معه؟

لدى وصول الطعام، بدا لها لذيذاً إلا أنها أقرت بأن غداء كينغسلي المؤلف من حساء السمك ولحم العجل يبدو أشهى كما أنّ رائحته أزكى.

لكن طعامها كان رائعاً لا سيّما حلوى البودينغ بالشوكولا المغطاة بالكريما المخفوقة التي طلبتها كتحلية. لم تتذوق يوماً طعاماً أشهى وقد أطلعت كينغسلي على رأيها عندما كانا يشربان القهوة فابتسم. ابتسم مراراً خلال الغداء فيما كانا يتحدثان قليلاً فأقرت رغماً عنها بأنه محدّث لبق.

إلا أن ابتسامته لم تصل إلى عينيه الزرقاوين الباردتين، وبقي الحديث سطحياً لذا لم تكتشف أي جديد عنه منذ جلوسهما إلى المائدة. لكن ما

تعرفه كاف لا بل أكثر من كاف.

ـ غلين هو ببساطة أفضل طاه عرفته.

ارتشف كينغسلي قهوته وأومأ للنادل طالباً الحساب قبل أن يضيف: «سنغادر قبل أن تمتلىء لائحة الانتظار لطاولتنا».

سألت روزالي وعيناها تجولان في المطعم مجدداً:

ـ كان بإمكانه حتماً جني ثروة لو اختار العمل في مكان كفندق الساڤوي أو الريتز؟

قال كينغسلي باختصار: «لقد سبق له ذلك فكاد يخسر زواجه وصحته. لذا، خرج من إطار المنافسة واشترى هذا المكان واستقر مع زوجته لوسيا التي تدعمه من وراء الكواليس. لقد تلقى عروضاً مغرية للعودة كرئيس للطهاة أو لتوسيع عمله هنا لكنه لا يريد ذلك. إنه سعيد هنا ولوسيا كذلك وهذا ما يهم غلين على المدى الطويل. لقد وجد ضالته».

حدّقت روزالي إليه ثم قالت: «يبدو أنك تحسده».

ابتسم هذه المرة لكن ابتسامته لم تصل إلى عينيه وقال بسهولة: «ولِمَ أحسده؟ فقد وصلت إلى ما أرغب فيه في الحياة. ماذا عنك؟».

ـ أنا؟

ـ أجل أنت. هل أنت حيث أردت أن تكوني في الحياة؟

وأضاف بنبرة حريرية أثارت ارتياب روزالي: «هل تقومين بما ترغبين فيه وتتواجدين مع من تودين التواجد معه».

لم تستسغ هذا النقاش فردت بحدة: «بالتأكيد».

ـ إذن، نحن محظوظان جداً.

أطبقت روزالي فمها فهي لم تستطع فهم نبرة صوته لكنها كانت توحي بعدم التصديق. من يظن نفسه ليستجوبها، على أيّ حال؟ نهضت من مقعدها معلنة ببرودة: «أجل نحن محظوظان... أعذرني سأتغيب للحظة».

شقت طريقها نحو الباب المؤدي إلى حمّام السيدات في مؤخرة

المطعم. عندما بلغت استراحة السيدات الصغيرة والنظيفة، تقدّمت نحو المغسلتين المزوّدتين بمرآتين غير مؤطرتين. حدّقت إلى انعكاس صورتها فبادلتها عيناها الحانقتان النظرات. لقد سبق لها أن عاهدت نفسها على ألا تقع في الفخ منذ أسابيع عندما قبلت المهمة وعلى ألا تدع كينغسلي يؤثر فيها. رقت شفتاها المزمومتان لكن غضبها انصب عليها وليس على كينغسلي. أدركت أن التحكم بنفسها هو الحل، وهي أدرى الناس بذلك. أغمضت عينيها وهزت رأسها فيما كان ينخفض إلى الأمام لكن الذكريات التي كانت تكبتها في أعماقها لتمنعها من الظهور، تدفقت اليوم. وفجأة، عادت فجأة تلك الفتاة الصغيرة التي جلست مرتجفة على الأرض تحدّق إلى أرض الرواق المظلم فيما كانت تنصت إلى صوت والدها المألوف يصيح بأمها في غرفة الجلوس في الطابق السفلي. تبع ذلك أصوات أخرى فلطالما تشاحنا. ولكن ما حفر هذه الذكرى في ذهنها هو الصمت الذي ساد إثر تعاقب صدى الصفعات ليتعالى من جديد صوت أبيها متوتراً وهو يقول: «شانتال؟ شانتال، انهضي، هيا انهضي».

انقطع حبل الذكريات عند هذا الحد لكنها تذكر الأضواء الساطعة لسيارة الإسعاف ولسيارة الشرطة لدى وصولهما إلى المنزل. كانت الشرطية امرأة وهي التي وجدتها قابعة في مكانها صامتة على السلالم. نُقلت إلى منزل جديها لأمها فوالدها يتيم وقد نشأ في ملجأ. وبعد يوم أو يومين، أخبرتها جدتها أن والدتها ذهبت لرؤية الملائكة، والدتها الجميلة الرقيقة التي لم تكن تؤذي حشرة، لم تتعافَ من اللطمات التي وجهها لها زوجها في إحدى نوباته والتي سببت لها نزيفاً في دماغها.

في اليوم المحدد لمثوله أمام المحكمة، وضع والدها حداً لحياته فباتت يتيمة في الخامسة من عمرها. ومنذ ذلك الحين، اعتنى بها جداها. وبما أنهما خسرا ابنتهما الوحيدة كان من الطبيعي أن تحيا طفولة كئيبة.

لقد أثارت الكثير من اللغط لأن أمها دللتها منذ لحظة ولادتها. وعندما كبرت، بدأت تعي لما كانت أمها تهتم كثيراً بطفلتها. أخبرها

جداها أن والدها كان تعيساً بسبب طفولته المعذبة ما جعله غيوراً من أي اهتمام توليه زوجته لأي راشد آخر سواءً أكان رجلاً أم امرأة. فاضطرت أمها إلى الانزواء عن الناس في محاولة للعيش بسلام لكن الشاهد على ضريحها يؤكد أنها لم تفلح في ذلك.

رفعت روزالي رأسها فوجدت عينيها متسعتين وقاتمتين بسبب الذكريات المؤلمة. عند بلوغها الثامنة عشرة ودخولها الجامعة قرر جداها العودة إلى موطنهما الأصلي فرنسا لقضاء خريف عمرهما مع الأقارب هناك، فلقد تدهورت صحة جدها فأراد العيش إلى جوار إخوته.

عذّبتها لبعض الوقت فكرة التخلي عن دراستها الجامعية في لندن ومرافقتهما لكنها ولدت في انكلترا ولم تشأ متابعة الدراسة في فرنسا، كما لم ترغب في التخلي عن أصدقائها. وفي النهاية، بقيت روزالي لتلتقي بعدها مايلز ستيوارت...

ـ «كفى».

تكلمت بصوت مرتفع فيما ارتسمت تكشيرة على فمها وهي تسدل الستار على ذكرياتها. لِمَ عاودتها هذه الذكريات اليوم؟

إلا أنها كانت تعرف السبب. صحيح أن مايلز وكينغسلي لا يتشابهان في نواح كثيرة لكن قاسماً مشتركاً يجمعهما: الجاذبية الذكورية.

يتعذر تحديد الأمر، فهو محيّر كلغز لا ندرك كنهه، لكن عندما يمتلك رجل ما هذه الميزة فهو يستغني عن الأساليب الحضارية والقشور الزائفة ليعيد المرأة إلى جذورها فيحملها على التجاوب معه سواء رغبت في ذلك أم لا. اسودت عيناها أكثر فلقد شاءت الحياة أن تهب هذه الجاذبية لأشخاص لا يهتمون للحظة بالدمار الذي يخلفونه.

تنفست بعمق قبل أن تغسل يديها وسرحت شعرها قليلاً كما وضعت أحمر الشفاه قبل مغادرة الغرفة. اتجهت نحو كينغسلي المنتظر قرب باب المطعم. وكان غلين واقفاً يتكلم معه فركزت روزالي بصرها على الرجل الإيطالي وعلقت بمرح: «إنها أفضل وجبة حظيت بها منذ وقت طويل

غلين».

وعبس لها وهو يقول: «يسرّني أن أطهو لامرأة بجمالك».

فضحكت روزالي. استدارت لتنظر إلى الرجل الطويل الواقف قرب مالك المطعم فبادلتها عيناه الجليديتان الزرقاوان النظر وسألها ببساطة راسماً على وجهه ابتسامته المعتادة: «جاهزة؟».

ما إن بلغا الرصيف وطالعتهما شمس أيار المنعشة، حتى تذكرت روزالي حسن التصرّف فقالت بتهذيب:

ـ كان الغداء رائعاً. شكراً لك.

ـ الشرف لي.

كانت عبارته عادية ولكنه نجح في جعلها تبدو وكأنها انتقاد. نظرت إليه فبادلتها عيناه الزرقاوان النظر ببراءة.

سيكون بعد ظهرٍ واعداً!

* * *

٣ ـ رجل المهمات الصعبة

سألت روزالي نفسها مئات المرات كيف حصل ذلك، فخلال السنوات العشر الماضية، زارت مواقع بناء مختلفة، تتسلق بكدّ، تعاين أساس الأبنية والجدران ومساحات الأراضي من دون تسجيل حادث واحد. إذن، لما تصرّفت بتهور اليوم تحديداً ومع هذا الرجل بالذات فجعلت من نفسها غبية؟

فبعدما كانت تتحدث إلى المهندس راجية ترك انطباع جيد لدى كينغسلي عن مدى سيطرتها على الوضع، وجدت نفسها فجأة منبطحة على وجهها وهي تشعر بألم في كاحلها وكأنه مكسور.

بدا الاهتمام على المهندس وهو رجل في متوسط العمر لكن كينغسلي هو الذي رفعها بين ذراعيه بعد أن حاولت النهوض فأوشكت على الإغماء من الألم.

ـ أنا... أنا بخير، أرجوك. أستطيع أن أمشي.

كانت تعي رغم ألمها أن رأسها قريب من صدره وبمحاذاة حنجرته. جاهدت لتتحرر منه ولكنه أسكتها بصوت قاطع: «إبقي هادئة».

كذبت من بين أسنانها المطبقة: «أشعر فعلاً بتحسن».

ـ وأنا ميكي ماوس!

تدخل المهندس الذي رافقهما فيما كان كينغسلي يمر بها عبر السيارات وقال بلباقة: «قد يكون الأمر مجرّد رضّة آنسة ملبورن لكن يجب أن تخضعي لفحص طبي».

ردّت بسرعة:

ـ لن أذهب إلى المستشفى بسبب رضة.

جاءها صوت عميق من فوق رأسها قائلاً ببساطة: «ولكنه المكان الذي ستذهبين إليه تحديداً».

كانت لتجادله أكثر وبشكل أفضل لو لم تكن تعي أنها بين ذراعيه. فهي تشعر بجسده كلما تحرك وتتنشق رائحة عطره الأخّاذ ما جعلها تفقد تركيزها.

أعلنت بكل ما أوتيت من قوة: «سأكون بخير إذا ما أعدتني إلى المكتب».

بلغا السيارة من دون أن يجيب. وعندما فتح المهندس باب السيارة، وضعها كينغسلي بتأنٍ على المقعد كما لو أنها من الخزف الصيني لكنها أصدرت رغم ذلك آهةً قبل أن تعض على شفتها بقوة وقد شحب وجهها.

قال باشمئزاز: «هل كنت تتكلمين عن الذهاب إلى المكتب؟ لقد تضاعف حجم كاحلك، فيما نتحدث أم أنك لم تلاحظي ذلك»؟

لقد لاحظت ذلك، وهي التي تشعر بالألم، وليس هو.

أقفل باب السيارة وتحدث باقتضاب إلى المهندس الذي راح ينظر بقلق إلى داخل السيارة. بعدئذ، أجرى اتصالاً من هاتفه الخلوي. كانت روزالي واثقة من أنها محور الاهتمام مع أنها عجزت عن سماع ما يقول. صعد لاحقاً إلى السيارة وقال باختصار: «سآخذك إلى الطبيب».

بدا كلامه قاطعاً ولكنها عجزت عن الاعتراض بسبب الألم والغثيان اللذين تشعر بهما، ولا بد أن وجهها نطق بمعاناتها لأنه شتم بصوت منخفض.

وما لبثت أن جمدت عندما خلع كينغسلي سترته وكوّرها قائلاً:

ـ سأضعها تحت قدمك لحمايتها قدر الإمكان لكنني أخشى ألا تكون الرحلة ممتعة.

ثبّت قطعة الملابس التي كانت عبارة عن سترة «أرماني» تحت الساق

المصابة وساعدها على خلع حذائها.

نظرت إلى الأسفل، إلى شعره القصير الأسود اللامع وكتفيه العريضتين فأحست بالحاجة إلى لمسه، لكنها لجمت هذه الرغبة. شكرته آملة أن يعتقد أن لهاثها مردّه الألم وأن يتجاهل حمرة الخجل التي علت وجنتيها.

لم يخلع الرجل سوى سترته فلما تشعر إذاً وكأنه عار تقريباً؟

استعاد مكانه خلف المقود وحلّ ربطة عنقه تاركاً إياها معلقة فيما فك أزرار قميصه العلوية.

كان جسده رائعاً فلم تستطع إبعاد عينيها عنه.

ـ هل أنت بخير؟

تلاقت عيونهما وقد أخفض صوته تعاطفاً معها فمنحته ابتسامة شجاعة وأومأت إيجاباً لأنها لم تثق بصوتها. فجأة، لم تعد فكرة المستشفى تبدو سيئة فأي شيء أفضل من البقاء قريبة منه إلى هذا الحدّ في هذه السيارة.

قدّرت روزالي قيادته الحذرة بعد أن اختبرت سابقاً أسلوبه في القيادة لكنها ورغم ذلك، كانت تعض على شفتها لكبت صيحات كلما تجاوزا أيّ مطب مهما كان خفيفاً.

كانت تعي أنه يسترق النظر إليها من حين إلى آخر قبل بلوغهما المستشفى التي بدت أقرب إلى أوكسفورد منها إلى لندن. وفيما كانا يجتازان أراضٍ مشجّرة، تبينت مبنى حديثاً جميلاً فقالت:

ـ هذا ليس مستشفى خاصاً، أليس كذلك؟

ـ وما الخطب في ذلك؟

لم يكن لديها تأمين شخصي.

لم تعرف ما إذا خمن ما تفكر فيه، إذ قال:

ـ يعمل صديق لي في هذا المستشفى وقد شاء الحظ أن يكون متواجداً اليوم. قال إنه سيلقي نظرة على كاحلك من باب الخدمة ومن ثم يمكننا

الذهاب.

بدأت تفقد سيطرتها على الأمور وهي تكره ذلك، كما يبدو أن كينغسلي لديه أصدقاء لكل مناسبة. فكرت روزالي في أن تصرفها ليس صائباً في ظل الظروف الراهنة، إذ أنه يحاول مساعدتها، لكنها لا تستطيع تغيير ما تشعر به، فهو يثير أسوأ ناحية فيها. جلست بحزم في مقعدها وقد توهجت وجنتاها وهي تقول بثبات: «كنت أفضل الذهاب إلى مستشفى حكومي».

ـ لا أستطيع إضاعة الوقت في قسم الطوارىء على عكسك، فلدي موعد آخر لاحقاً.

أغمضت عينيها فيما كان يتكلم، لكنها سرعان ما فتحتهما مع انتهاء جملته وحدقت إليه معلنة:

ـ حسناً، أعذرني.

ـ بالتأكيد.

والتوت شفتاه لرؤية غضبها فيما تابع: «والآن ابقي هادئة حتى أساعدك».

لم يترك لها الخيار مع أنها تكره الانصياع له، كما أنها تعلم أنها لن تتمكّن من السير على كاحلها. إن مجرد سعيها إلى تحريك كاحلها يسبب لها ألماً فظيعاً. لكن التفكير في أنه سيحملها مجدداً... هل تستطيع القفز على رجل واحدة؟ تباً، إذ لم يسبق لها الشعور بمثل هذا العجز في حياتها.

عندما فتح باب السيارة، لم يعد أمامها مفرّ. رفعها قبل أن يصدر عنها حتى أنين خافت. دفء جسده الرجولي أربكها هذه المرة أكثر.

قال بهدوء فيما أدناها أكثر: «ضعي ذراعيك حول عنقي. لا تقلقي فأنا لا أعض».

أجفلها كلامه فرفعت نظرها إلى وجهه؛ كانت نبرة صوته غامضة تثير الأعصاب.

ارتسمت علامات التسلية الساخرة على وجهه في بادىء الأمر، لكن عندما التقت عيونهما اختفت التسلية ليحل مكانها شيء آخر فحبست أنفاسها من دون أن تجرؤ على الإتيان بحركة.

دخلت سيارة أخرى إلى الموقف فانكسر السحر. أحنت روزالي رأسها ممتنة لخصلات شعرها التي غطت وجهها الأحمر، وعند دخولها إلى قاعة الاستقبال في المستشفى اختفى هذا اللون المتوهج بسبب الألم في ساقها.

عانت روزالي آلاماً مبرحة خلال نصف الساعة التالية، وودّت لو تبكي من الإحباط عندما أظهرت صور الأشعة صحة تشخيص صديق كينغسلي بوجود كسر صغير في العظام ما يستدعي وضع جص على كاحلها لبضعة أسابيع.

بعد نحو ساعة، عادا إلى السيارة مجدداً وقد تحسّن كاحلها بفضل الجص إلا أن رأس روزالي كان يدور فيما دماغها منشغل بالمواعيد ومهل التسليم المستحقة في الأيام التالية. لحسن الحظ أن قسماً كبيراً من الأعمال يمكن إنجازه من المكتب كما خطر لروزالي بعد تفكير مليّ دام بضع دقائق. كما يمكن لأحد شركائها أن يقوم بالزيارات الميدانية حتى تتمكن من القيادة ثانية إلا إذا استقلت سيارة أجرة. على أيّ حال، سوف تتدبر أمرها بطريقة ما إذ يستحيل عليها أن توكل هذه العمل إلى شخص آخر.

ـ كيف حالك؟

قاطع صوت كينغسلي أفكارها المضطربة فأدارت رأسها نحوه: «عفواً».

كان عليها أن تعترف، وإن رغماً عنها، بأنه أحسن التصرّف في هذه المسألة برمتها رافضاً السماح لها بدفع أي نفقات رغم علمها بأنه حرّر شيكاً للمستشفى كما أنه أظهر صبراً لم تكن تتوقع أن يتحلى به.

كرّر سؤاله فلاحظت أن ميزة الصبر باتت شبه مفقودة لديه الآن.

ـ كاحلك، كيف حاله؟

ـ على ما يرام.

ذكّرها توتره بأنه مرتبط بموعد فأضافت بتهذيب: «آمل ألاّ أكون قد أخّرتك كثيراً فلقد ذكرت موعداً».

ـ إنه موعد عشاء.

أقسمت روزالي على أنه عشاء مع امرأة فمن الواضح أنه متشوّق لرؤيتها إذ كان مستعداً لدفع نفقات مستشفى خاص لئلا يفوّت الموعد المقرر. لم تأبه روزالي لتسمية ما تشعر به بل اكتفت بأن نهرت نفسها بقسوة.

إن رجلاً مثل كينغسلي يمكنه الحصول على ما يشاء من النساء الرائعات الجمال إلا أن حياته الشخصية لا تعنيها بتاتاً.

حدجته بنظرة جانبية من تحت أهدابها، فلقد اعتادت على رؤية عضلات جسده إذ أتيحت لها فرصة مراقبته لساعات في المستشفى بما أنه أصر على ملازمتها. ولكنها أحست بشيء دافىء في داخلها عندما نظرت إلى جانب وجهه وإلى ملامحه الصلبة والواضحة. كان شديد الجاذبية حسبما فكرت ناعسة، فقد اجتمع تأثير الحادث مع الحبوب المضادة للألم التي وصفها لها صديق كينغسلي فتملكها النعاس في دفء السيارة. تثاءبت قبل أن تستطيع ردع نفسها فاقترح عليها كينغسلي مع أنها لم تدرك أنه لاحظ تصرّفها: «أرجعي المقعد إلى الخلف وخذي قسطاً من النوم».

لم ترق لها فكرة النوم في السيارة حيث يتسنى لكينغسلي النظر إليها من دون علمها. وقد بعثت هذه الفكرة فيها نشاطاً كما لو أنّ دلواً من الماء البارد سقط عليها فردت بسرعة وبثقة عالية:

ـ لا، أنا بخير. لن أغفو الليلة إذا نمت الآن فأنا لا أنام جيداً عادة.

ـ ألا تنامين جيداً؟

حدجها بنظرة غريبة قبل أن يركز انتباهه على الطريق أمامه وأكمل يقول:

ـ ولِمَ؟ هل أنت دائماً على هذه الحال؟

منذ انتهاء علاقتها بمايلز وهي على هذا الحال. حافظت روزالي على نبرة عادية في الإجابة:

ـ لم يعد الأمر غريباً في السنوات الأخيرة.

ـ إنها أول بوادر الضغط النفسي الذي تعيشينه.

تصلبت روزالي إذ أحست بنبرة انتقاد في صوته وقالت بحزم وعيناها موجهتان إلى الأمام:

ـ لا أعتقد ذلك لأنني أستمتع بعملي.

نبهها بلباقة: «ليس من الضروري أن يكون العمل هو المشكلة فالعمل ليس محور الحياة ولا نهايتها بالتأكيد».

قالت باقتضاب: «حياتي خالية من أي ضغوطات، شكراً لك».

أصر بقوله: «روزالي، في أيامنا هذه لا تخلو حياتنا من الضغوطات. هل توازنين ما بين العمل والمرح؟».

رغم شعوره بالذنب لطرحه هذه الأسئلة كلها في حين أنها تعرّضت للتو لحادثة إلاّ أنه تابع استجوابه إذ شعر بأن دفاعاتها ضعيفة في هذه اللحظة. أراد معرفة المزيد عن هذه المرأة التي تخفي الكثير عن نفسها، هذا ما أقرّ به في سرّه، وقد استسلم للحقيقة التي كان يتجاهلها طوال النهار. لقد أثارت فضوله وإعجابه على حد سواء كما أثار حنقه عدم اهتمامها بشخصه ما أنقص شعوره برجولته.

ـ هذا شأني الخاص

كان ردها بارداً تماماً كما توقع.

قال ببراءة متكاسلة: «آسف! من الواضح أنني ضربت على وتر حساس».

قالت بحدة وهي تحدّق إليه:

ـ بالطبع لا. الأمر سخيف تماماً.

ارتفع حاجباه السوداوان لكنه لم يفه بكلمة وفكرت روزالي مضطربة في أن تصرفه أبلغ من الجدال، فمن الصعب مجادلة الصمت. قالت ثانية:

«أعني ما أقول فأنت لم تثر نقطة حساسة».

ـ أنت تعترضين كثيراً.

يا له من معتدٍ بنفسه!

سألها بنعومة وهو يعلم الرد جيداً: «إذن، ألديك صديق حميم، حبيب حالي»؟

ودت لو تقول له أن يهتم بشؤونه الخاصة لكنها وجدت الأمر غير مناسب نظراً لمجرى الحديث بينهما فاكتفت بالرد: «لا».

كان ردها جليدياً يحبط أياً كان باستثناء أمثال كينغسلي الذي أكمل استجوابه:

ـ ومنذ متى لم تواعدي أحدهم؟

كانت تغلي من الغضب الذي تسعى لإخفائه. كيف يجرؤ على استجوابها بهذه الطريقة؟

ـ رغم أننا في القرن الحادي والعشرين حيث يميل معظم الناس إلى التصرّف كالأرانب، غير أنني أفضل النوعية على الكمية.

جاء ردّها جليدياً وقد رجت أن يكون كافياً لإرضائه إذ لم يسبق لها أن تعرّضت لمثل هذه الوقاحة في حياتها.

ـ فهمت. ومنذ متى أنت وحيدة؟

وفجأة، أدركت وقد تملّكها الرعب بأن غضبها اختفى لتحل مكانه الرغبة في الانفجار بالبكاء. اثنتا عشرة سنة مضت منذ تعرّضت للاستغلال وللأذى ووصلت إلى شفير الانهيار.

كانت الكلمات تطنّ في رأسها حتى حسبت للحظة أنها نطقت بها عالياً. ولكن عندما لم تتغير ملامحه الجامدة، أدركت أنها في أمان. لم يسبق لها أبداً أن ناقشت علاقتها مع مايلز مع أي كان ولا حتى مع جديها قبل أن يتوفيا وهي لن تفعل ذلك الآن.

أصدقاؤها الجدد لا يعلمون الكثير عنها.

أخذت نفساً عميقاً راجية ألا يفضح صوتها هذه الرجفة التي تشعر

بها. واستدارت تنظر إليه قائلة:

ـ لا أذكر. لست من الأشخاص الذين يدوّنون كل شيء في مفكرتهم بخلاف بعض الناس.

استهدفته بكلامها فرأته يزمّ فمه ما سرّها. فكرت بمرارة بأنه يسهل على المرء دوماً انتقاد غيره.

ردّ بعبوس: «تقصدينني بذلك؟».

سكتت عمداً قبل أن تضيف: «لم أقل ذلك ولكن إذا كان الأمر ينطبق عليك».

قاطعها بقوله: «لا، ليس في هذه الحالة».

ـ حسناً.

ضمنت عبارتها مغزىً آخر فأضاف ببرودة:

ـ لدي عيوبي روزالي لكن تعدد العلاقات ليس من شيمي.

ـ السيد يبدي الكثير من الاعتراض.

تساءلت لبرهة ما إذا تمادت كثيراً عندما ألقت نظرة سريعة على وجهه الغاضب، لكنها شعرت بأن الدفة تميل لصالحه عندما ضحك واستدار ينظر إليها بعينين مبتسمتين للمرة الأولى منذ عرفته. قال بجفاف:

ـ أصبت الهدف. أظنني استحق ذلك.

فكرت سراً: آه، لا. لا تفعل ذلك. لا تراوغ بهذه الطريقة فأنت لست من النوع القادر على السخرية من نفسك. أنت متكبر ولا يهمك إلا رأيك بنفسك وتخشى فقدان السيطرة على الأمور وهذا واضح كالشمس.

وتشدّق بتكاسل. «إذن... لقد هزمتني».

حدجها بنظرة ثابتة فترددت مطوّلاً قبل أن تجيب بجفاف:

ـ إسمع كينغسلي، أنا لم أعن ذلك تحديداً.

ثم أضافت بسرعة وهي تذكر نفسها بأنه أفضل زبون حظيت به الشركة منذ زمن: «أنا لا أعرفك حتى. أليس كذلك؟».

ـ صحيح.

كانا متوقفين عند إشارة ضوئية فاستدار ينظر إليها بعينين ضيقتين:

ـ إذن، ما السبيل إلى إصلاح ذلك لتتمكني من إعطاء رأي صحيح؟

ـ رأيي لا يهم، أليس كذلك؟

جالت عيناه على وجهها وبدا صوته عميقاً حين أجاب: «ربما أرفض أن يساء فهمي».

ثم ابتسم مجدداً وبإغراء.

إنه يغازلها. حدقت روزالي إليه لبرهة وعندما تغيرت الإشارة الضوئية إلى اللون الأخضر، تحركا مبتعدين عن المكان.

لطالما صدّت بحزم كل من حاول التقرب منها فكانت تتعامل معهم بلطف أو بقسوة وفقاً لوضعهم الاجتماعي ولطبيعة ملاحقتهم لها.

لم تجد صعوبة في التعامل معهم مهما بلغ سنهم أو خبرتهم لأنها أدركت في هذه اللحظة وللمرة الأولى أنها لم تتأثر بعروضهم التي لم تغرِها أبداً.

كان كينغسلي مختلفاً. حدقت شاردة أمامها فيما كانت السيارة تكمل طريقها. إنه خطير ويجب تفاديه بأي ثمن فقد سبق لها أن أحبت بجنون وجعلت من نفسها أضحوكة لذا فإن تكرار التجربة سيجعلها أغبى مخلوق على الأرض.

لقد أدركت في السنوات العشر الماضية أنها ليست من النوع الذي يقيم علاقة من دون حب فهذا ليس من طبعها. لذا، قررت التفرّغ لمهنتها وجعلها الهدف الأول في حياتها. أصدقاء طيبون، منزل جميل وما يكفي من المال للسفر في رحلات بعيدة عندما تريد، هذا ما يناسبها تماماً. لكن الأمر الأساسي والأهم الذي يطغى على أي شيء آخر وينكر الاعتبارات الأخرى كلها، هو حفاظها على الاستقلالية أي التحكم بحياتها بمعنى أصح.

ـ أريد العنوان.

خرجت من دوامة أفكارها عندما شق صوته هذه الزوبعة فقالت:

«ماذا؟».

ـ هل تحللين أحداث النهار؟

كان بإمكان كينغسلي أن يرى وجهها حتى فيما هو يركز على الطريق أمامه وقد لاحظ تقلص فمها. أدرك منذ وقعت عيناه عليها للمرة الأولى في تلك الحفلة المشؤومة أنها تعني المتاعب، فهذا يظهر من خلال جسدها الرشيق والأنيق إنما المتحفظ ومن خلال تلك العينين الرائعتين الباردتين.

ـ سأكون بخير لو استطعت إيصالي إلى المكتب.

تناهى إليه صوتها فتوتر مفكراً: ولما عيناها رماديتان؟ لم ليستا بنيتين أو خضراوين؟ فهذان اللونان مناسبان لمعظم الناس فلما روزالي ملبورن مختلفة؟

بدا صوته قاطعاً لا يحتمل المناقشة حين أعلن: «سأقلّك إلى المنزل».

ـ ثمة أعمال يجب أن أنهيها.

ـ ربما. لكن يمكنها الانتظار حتى الغد إذ يجب عدم الاستخفاف بالحبوب المضادة للألم التي ابتلعتها.

لِمَ لم تفارق فكره منذ تلك الأمسية؟ لم يكن يحتاج لرفيقة فما الذي يجعل هذه المرأة مختلفة؟ لكنها ليست مختلفة، بل إنها تلعب اللعبة بطريقة مختلفة. هذا كل ما في الأمر. إلاّ إنها ترفع ضغط دمه إلى حد يجعله عاجزاً عن التفكير بوضوح.

تغلغلت يده في شعره إذ أحس بالانزعاج في نفسه. كانت واقعيته وسخريته الحادة تمنعانه من الاعتقاد بوجود رابط آخر بين الجنسين عدا الانجذاب الحسي كما طمأن نفسه لاحقاً... غير أن هذه المرأة تمتلك ميزة إضافية لم يصادفها في إحداهن منذ زمن بعيد، وقد زاد في استغرابه أنها لا تخرج مع أحد.

لاحظ بطرف عينه أن روزالي بدلت وضعية ساقها المصابة وقد طرفت عيناها من الألم ما زاد اقتناعه بعنادها إذ طلبت منه ايصالها إلى المكتب.

إنها بحاجة لوجبة ساخنة ومزيد من الأدوية المهدئة والنوم. إنها امرأة مجنونة.

ـ إذن، هل سأحصل على العنوان أم أننا سنكتفي بالتجوال ليلاً في لندن؟

أفكاره جعلت صوته فظاً غير أنه لم يحاول الاعتذار. لقد أقرّ ضمناً بأنها تضايقه.

رمقته روزالي بنظرة وقد شعرت بتغيّر نبرة صوته ثم ردت باقتضاب:

ـ أقطن في جوار المكتب في كينغستون وسأرشدك عندما نقترب من المكان.

ردّ ساخراً: «شكراً لك».

ـ على الرحب والسعة.

قطعا المسافة المتبقية في صمت حتى بلغا كينغستون حيث أرشدته روزالي بطريقة آلية إلى الحي حيث تقيم.

كان المنزل رقم عشرين مشابهاً للمنازل المحيطة به. وفيما كان كينغسلي يركن السيارة أمام المنزل، نظر إلى الدرجات الخمس التي تقود إلى المدخل فبدا على وجهه ما يفكر فيه.

اعترفت روزالي بضيق: «أعلم أنه ليس مثالياً في ظل هذه الظروف».

ولكنها حين استأجرت الشقة، لم تفكر في إمكانية تعرضها لإصابة.

استطردت لتعلمه بأنها لم تكن غافلة تماماً عما تحتاجه:

ـ سأطلب غداً من جيني إحضار عكاز لي فبهذه الطريقة أستطيع التحرك ثانية.

علّق كينغسلي ببرود وهو يفتح الباب: «أعتقد أن التنقل لا يعتبر منطقياً الآن».

وفيما كان يخرج من السيارة قامت روزالي بتصرف لم تقم به منذ طفولتها فمدت له لسانها. حسناً، لعل تصرفها طفولي ولكنه يثير جنونها.

عندما فتح لها الباب، لم يتقدم فوراً نحوها بل جالت عيناه لبرهة على وجهها قبل أن يقول:

ـ هل تحنين إلى أيام الطفولة؟

لا بد أن للرجل عينين في مؤخرة رأسه إلا أن روزالي قاومت الخجل:

ـ تستحق ذلك. فأنا أحاول جاهدة التأقلم مع هذا الوضع الغريب والصعب بالنسبة إليّ ولم يكن تعليقك مناسباً.

حدّقت إليه وقد زمت شفتيها بضيق. أمال رأسه قليلاً وهو يفكر في كلامها ثم قال بصوت عبرّ عن ندم حقيقي:

ـ أنت محقة، أقدم اعتذاري.

طرفت بعينها وردت واهنة: «حسناً نعم...».

رفعها بين يديه فيما كان يتكلم:

ـ أنا سعيد لأنك قبلت اعتذاري بلباقة.

سرّت روزالي لأنها سبق أن جهزت مفاتيحها. كان ممسكاً بها عندما فتحت الباب وخطا معها في البهو الواسع. كان البيت مؤلفاً من ثلاثة طوابق، في كل طابق منه شقة منفصلة، وفي الطابق السفلي تسكن المالكة. أجال كينغسلي بصره في أرجاء المكان وتطلع إلى السلالم فوقهما، بدا صوته خانعاً عندما قال: «لا تقولي لي إنك تقطنين في الطابق العلوي».

قالت باعتداد: «بل أقطن هنا. هذا مدخلي».

رمقها بنظرة ولوى شفتيه لنبرة الرضى في صوتها ثم رد بنعومة وقد التمعت عيناه الزرقاوان: «كم أنت ذكية!».

ركز بصره عليها كما سبق له أن فعل في الماضي. تأملها ببطء ولم تحاول روزالي التحرّك بعيداً بل نظرت إلى عينيه الرائعتين اللتين سحرتاها.

لكنه قطع اللحظة السحرية قائلاً:

ـ أدخلي فلقد مررت بيوم شاق.

صعد الدرجتين أو الثلاث المؤدية إلى الباب قبل أن يتسنى لها الوقت لتمالك نفسها. عندئذ، أدركت بأنها لا تزال تمسك بمفتاح الباب الأمامي عوضاً عن مفتاح الشقة. واحمرت وجنتاها.

عثرت على المفاتيح التي تضم مفاتيح المكاتب إضافة إلى مفاتيحها الشخصية وقد أدركت أن يديها ترتجفان فراحت تصلي لئلا يلاحظ الأمر.

لقد سمحت له بالتأثير فيها. هل هي مجنونة؟ لا بد أنها كذلك! ما الذي يفكر فيه الآن بحق السماء؟ هل تخيل أن الأمر دعوة؟ مستحيل!

دفعت بالمفتاح في القفل وأدارته فدخلا إلى ردهة منزلها المربعة الصغيرة. عندئذ، قالت:

ـ سأكون بخير الآن!

لم يعر جهودها للتحرر منه اهتماماً حتى عندما قالت له: «هل تستطيع إنزالي، من فضلك؟».

بدا صوته بارداً لا مبالياً: «في غرفة الجلوس؟».

ـ ماذا؟

ثم تمالكت نفسها مشيرة إلى أول باب في الردهة وقالت بعجلة:

ـ هناك. لكن عليك ألاّ تطيل المكوث الآن فأنا أعلم أنك مرتبط بموعد وكان لطف منك إيصالي إلى المنزل.

ـ عظيم.

عندما بلغا غرفة الجلوس، نظر حوله بإعجاب لكن روزالي لم تكن في مزاج جيد للإعجاب بالديكور مع أنها أمضت أشهر في تأثيث شقتها لتبدو تماماً كما تصورتها منذ اللحظة الأولى التي رأتها فيها قبل بضع سنوات.

كانت غرفة الجلوس أكبر الغرف بنوافذها العريضة التي تسمح بدخول قسط كبير من الضوء الطبيعي. وقد استفادت من هذه الميزة إذ طلت الغرفة بلون أصفر ناعم وأثثتها بمفروشات من خشب الصنوبر. أشارت إلى الأريكة الكبيرة التي تعلوها وسائد متفاوتة الأشكال، وقالت وقد أبقت رأسها محنياً لئلا يفكر أبداً بأنها تقترح عليه أمراً آخر:

ـ أرجو أن تضعني هنا. سأكون بخير.

ـ لن أنقضّ عليك روزالي.

أنزلها كما طلبت منه، بنعومة واهتمام، فشعرت للحظة بالخسارة قبل أن تصفعها كلماته فرفعت رأسها وكذبت عليه:

ـ أعلم أنك لن تفعل ذلك. ولكن لديك موعد على العشاء.

صحح لها قولها: «بل كان».

ونظر إليها وقد ضاقت عيناه فيما كان يتراجع عاقداً ذراعيه وأعلن:

ـ عندما بدا كيرك متأكداً من وجود كسر ألغيته.

احتجت وهي ترتعش: «لم يكن عليك القيام بذلك».

هز كتفيه لا مبالياً وأردف من دون أن يحاول إخفاء سخريته:

ـ ربما تفضلين كلمة تأجيل. هل يجعلك ذلك تشعرين بتحسُّن؟

ـ ولكنني...

رفع يداً يسكتها: «لا تقولي إنك بخير إذ لم أعد أستطيع الاحتمال. اسمعي، أي نوع من الرجال تظنينني؟ أنت تتألمين وأقل ما يمكنني فعله هو التأكد من أن تتناولي الطعام قبل أن يُغمى عليك. حسناً؟ أين المطبخ؟».

هذا جنون. كانت شفتاها ترتجفان وودّت لو تسأله لما يهتم بها، لكن رغبته في التغاضي عن الموضوع وكأنه أمر تافه صعّبت عليها الموقف.

في الواقع، لو لم تكن تشعر بهذا الارتعاش لتساءلت حتماً ما إذا كانت تتخيل الوضع برمته.

إلاّ أنه غازلها وهذا ما لم يكن مدرجاً في العقد... لكن كيف يمكن صرف رجل بهذه الضخامة، رجل طويل صلب ومفتول العضلات في حين أنها تعجز حتى عن السير بشكل سليم؟

كان قلبها ينبض بسرعة مؤلمة إلا أنها حاولت إبقاء نبرتها عملانية عندما أضافت:

ـ أنا قادرة على إعداد سندويش. وبعد هذا الغداء الرائع، لا أستطيع تناول المزيد.

كانت تكذب إذ فوجئت بأنها تتضوّر جوعاً. لعل الإصابة بكسر في الكاحل تفتح الشهية! أو لعل الأمر يعود برمته إلى جو الإرباك المحيط بهذا الرجل؟

نظر إليها باستفهام: «سندويش؟».

ثم ألقى نظرة على ساعة يده الذهبية موضحاً: «إنها الثامنة مساءً تقريباً ولقد تناولنا الغداء في الواحدة. أنت تحتاجين إلى ما هو أكثر من سندويش وهذا ما سأفعله».

كان تصريحه قاطعاً لا يقبل أي رد. وبدا سخيفاً أن تقول له إنه حرّ في تناول الطعام في أيّ مكان بعد أن أعلمها للتو أنه ألغى موعده على العشاء من أجلها، لكنها كانت تود القيام بذلك. ابتلعت روزالي كلماتها بدلاً من النطق بها وأعلنت:

ـ أخشى ألاّ تجد شيئاً لدي. كنت أنوي التبضع هذا المساء في الطريق إلى البيت.

اقترح ببساطة: «طعام مثلّج».

ـ لا، ليس لديّ.

حاولت إخفاء نبرة الانتصار في صوتها واستطردت:

ـ الطهو لشخص واحد يتطلب ثلاجة كما أنني أفضل الطعام الطازج.

وأكملت سراً: وداعاً يا سيد.

ابتسم قائلاً: «حسناً. كنت سأطلب بعض الطعام. فماذا تريدين، صيني، هندي، إيطالي أم تايلندي؟؟».

استسلمت روزالي للأمر الواقع إذ أن كاحلها يؤلمها كما أنها مرهقة فلم ترد مجادلته:

ـ صيني.

تمتم: «إنه طعامي المفضل. هل تفضلين نوعاً معيناً؟».

قالت لتختبره: «فاجئني».

رفع حاجبه القاتم: «هذا ما أفضله. هل لديك قائمة طعام في مكان

ما؟».

ـ لا، آسفة.

لم تكن تحاول تعقيد الموقف ولكنها لا تملك فعلاً أي قائمة فأضافت:

ـ ثمة مطعم صيني ممتاز عند زاوية الشارع التالي يقوم بإيصال الطلبات.

أومأ موافقاً قبل أن يعبر الغرفة ويدير جهاز التلفزيون ثم ناولها جهاز التحكم عن بعد وهو يقول:

ـ والمفاتيح؟ أحتاجها لدى عودتي إلى المنزل.

ناولته إياها من دون أن تتكلم. وعندما أغلق الباب، تنفست الصعداء. لقد طال هذا النهار ولم يسبق لها أن شعرت بأنها مسيّرة في حياتها. لا بد أن شكلها مزرٍ. هذه الفكرة دفعتها للنهوض وحاولت التنقل مستندة إلى الجدران والأثاث علّها تقطع المسافة القصيرة المؤدية إلى الحمام. حدّقت إلى صورتها في المرآة فبدا وجهها لمّاعاً وخالياً تقريباً من الزينة. أما المسكارا فسالت ولطخت تحت عينيها فبدت أشبه بحيوان «الباندا». لما يرغب بحق السماء في البقاء وتناول العشاء معها وهي على هذا الشكل؟

غسلت وجهها ووضعت عليه الكريم المرطب ثم وضعت لمسة من الماسكارا على أهدابها قبل أن تضع كريم الأساس لتخفي شحوبها. سرّحت شعرها فبدا متماوجاً ووضعت بضع قطرات من عطرها الفرنسي المميز الذي كلّفها ثروة وتأملت النتيجة. أفضل... أفضل بكثير لكن كاحلها كان ينتفض ألماً أمّا ساقها الأخرى فراحت تحتج على احتمالها هذه الوضعية المتأرجحة. بقي أمامها أن تقرّ بأنها تحتاج فعلاً إلى الجلوس بدلاً من إعداد الصحون.

إلاّ أنها جاهدت لتصل إلى مطبخها الصغير والجميل مستندة إلى أحد الرفوف الخشبية وقبعت هناك لدقيقة أو اثنتين. كان بنطالها مزرياً تماماً إذ

اضطرت الممرضة إلى تمزيقه حتى فوق ركبتها كما أنه مغطى بالوحل الجاف إثر سقطتها. لم تكن ترغب في استبدال ملابسها فقررت ألاّ تفعل فيما كانت تُخرج الصحون، والكؤوس وأدوات الطعام.

بعد عشر دقائق، كانت تجلس أمام الطاولة الخشبية الصغيرة في زاوية غرفة الجلوس وقد علتها وجبة غنية وامتلأ كأس بعصير البرتقال...

حدّقت روزالي إلى تشكيلة الطعام المكونة من لحم العجل المغمور بالبهار الأسود، والدجاج مع الزنجبيل والأناناس فضلاً عن الأرز المقلي وأعلنت:

ـ كينغسلي. الطعام كفيل بإشباع جيش صغير.

عبس في وجهها فانتفضت أعصابها: «أنا جائع».

ردت بهدوء رافضة التخلي عن دفاعاتها: «جيد لأنني لا أستطيع تناول ربعه».

لم تكن لتصدّق أنه قادر على التهام هذه الكمية من الطعام لو لم ترَ ذلك بأم عينها. وعندما انتهيا من الطعام، أحضر لها الدواء من دون أن تطلب منه ذلك فقالت مكرهة: «شكراً».

إنها لا تحتاج إلى رعاية، لا سيّما من كينغسلي وارد، فهي قادرة على الاعتناء بنفسها. وقد رفضت الإقرار بأن هذا الاهتمام يسرّ القلب.

عرف تلك النبرة في صوتها لكن شحوب وجهها ووضعها الحرج جعلاه يتناسى الأمر. سأل محاولاً تقديم العون: «هل تريدينني أن أعينك للوصول إلى السرير؟».

التقت العينان الرماديتان بعينيه الزرقاوين وعندما شاهدت الومضة فيهما، أجبرت نفسها على الابتسام وقالت:

ـ أستطيع تدبر أمري.

ـ هل ترغبين في فنجان قهوة قبل أن أرحل؟

هزت رأسها نفياً.

ـ شاي؟ أعلم أنكم الإنكليز تحبون الشاي.

ـ لا، شكراً.

وفكرت في سرّها: ارحل فوراً، حباً بالله؟

ـ كاكاو، نعناع، ماذا؟

ـ لا شيء.

إلا إذا رغب في أن ترميه في وجهه.

قال بسخرية متكاسلة: «صححي لي إن كنت مخطئاً لكنني أظن أنني أطلت الإقامة».

ثم أضاف حين لم تجبه:

ـ عمت مساءً روزالي. نامي هانئة.

ـ وأنت أيضاً.

كانت ترتجف ولكنها رفضت إظهار أي إشارة تدل على تسارع نبضات قلبها. أضافت بحذر وقد تذكرت أصول حسن التصرف:

ـ شكراً على كل ما قمت به اليوم.

ـ إنه طبعي وقت الشدائد.

ابتسمت له بعفوية قبل أن يستدير ويغادر الغرفة. سمعت الباب الأمامي يفتح ثم يقفل بضربة واحدة. أرهفت السمع فيما ضاقت عيناها. لقد رحل.

* * *

٤ ـ ثقي بي

لم تكن روزالي تعلم ما تتوقعه إثر نهارها الفاشل مع كينغسلي وارد لكنها لم تتوقع بالطبع تلك السلة الكبيرة من الزهور التي تسلمتها في اليوم التالي مع بطاقة كتب عليها: «إشفَيْ سريعاً، ك».

ومرت ثلاثة أسابيع من دون أي خبر عنه.

بعد حوالى أسبوع من الحادث، باتت رشيقة كالجرادة في القفز. وفضّلت الذهاب إلى المكتب فرائحة الزهور التي تعبق في أرجاء شقتها تذكّرها دائماً بكينغسلي. لكن سواءً في المكتب أم في البيت، كان كل اتصال هاتفي يسرّع نبضات قلبها ويوتّر أعصابها.

ومع حلول الأسبوع الثاني، بدأت تتساءل عما إذا أساءت فهم الإشارات فهو لم يكن مهتماً سوى بقدراتها المهنية. في الأسبوع الثالث، تقبلت حقيقة أن مخيّلتها اخترعت الأمر كله وأنه لم يتجاوز حدود اللطف والإهتمام فكينغسلي من النوع الذي يلاطف أي امرأة في صحبته كما قالت لنفسها بحزم صباح السبت وهي ترمي الزهور الذابلة في سلة النفايات.

تلك الزهور لم تكن سوى مبادرة لبقة، ولا شيء أكثر. وبما أنّ هذا ما أرادته بالضبط، فإن الأمور على ما يرام، أليس كذلك؟ بالطبع.

في صباح يوم الإثنين، اتصل بها مايك من سيارته كما كان يفعل كل صباح منذ وقوع الحادث.

كان العكازان اللذان أحضرتهما جيني مناسبين للتنقل في المنزل والمكتب إلا أن جهودها لشق طريقها على أرصفة لندن المزدحمة مهمة

مستحيلة. لكن الأمر لن يطول بها.

هذا ما واست روزالي نفسها به فيما كانت تغوص في مقعد السيارة. لقد أرسل صديق كينغسلي الطبيب ملفها إلى طبيبها الخاص الذي تدبر بدوره أمر علاجها في مستشفى مجاور لها. وبعد خضوعها لفحص نهار الجمعة الفائت اتفق الأطباء على إبقاء الجصّ مدة أسبوعين إضافيين.

تمنت روزالي بحنق لو أنّ المدة تقصر، فهي تشعر بحكّة مزعجة تحت الجص منذ أيام، حكّة جعلتها تتلوى في مقعدها.

صعد مايك إلى السيارة بعد أن ساعدها على الجلوس وفتش في مقعد السيارة الخلفي ثم رمى بمجلة أنيقة في حضن روزالي وقال: «ثمة شيء قد يهمك في هذه المجلة. هانا انتبهت له».

ـ وما هو؟

كانت هانا زوجة مايك تطالع بشغف المجلات الاسبوعية بدءاً بالمجلات المختصة بالحدائق وصولاً إلى مجلات الموضة ومروراً بكافة المواضيع الأخرى. ولطالما وصف مايك زوجته بالمدمنة على المجلاّت.

قال مايك باقتضاب قبل أن ينطلق: «إنها الصفحة ذات الزاوية المطوية».

هذا سخيف، سخيف فعلاً غير أنها شعرت كما لو أن أحدهم ضربها على معدتها عندما حدّقت إلى الصورة حيث بدا كينغسلي برفقة حسناء سمراء تتأبط ذراعه. أدركت والألم يغمرها أن مايك يراقبها متظاهراً باللامبالاة وقرأت العنوان القصير تحت كل واحدة من الصور الخمس التي تمثل عرساً ضخماً في نيويورك من دون أن تعلق عليها.

يبدو أنه كان إشبين صديق قديم له، صديق غني، كما أن السمراء التي بدت في الصور الثلاث مع كينغسلي هي شقيقة العريس الصغرى والإشبينة الأولى.

شعرت روزالي بارتياح غريب لأن طراز ثوب الإشبينة ولونه الأصفر لا

يناسبانها، غير أنها بدت جميلة. كان التعليق تحت الصورة الأخيرة أن الإشبين يأخذ مهامه على محمل الجد، وقد أظهرتهما الصورة متعانقين بحميمية إلى حد أن روزالي تساءلت عما إذا كانت الفتاة ملتصقة به.

ـ يا له من ثوب جميل!

ثم رمت المجلة من فوق كتفها نحو المقعد الخلفي: «كما أن كينغسلي يلعب دوره بنجاح».

رمقها مايك بنظرة عاجلة قبل أن يقول:

ـ ثمة شائعات بأنها الفتاة التي ستنجح في إيقاع هذا العازب الشهير في الفخ.

ـ حقاً، أمر رائع. حظاً موفقاً للإشبينة!

توقف مايك فجأة وقال بتوتر: «روزالي!... حسناً، ظننت أن علي إطلاعك على الأمر».

استدارت نحوه راسمة ابتسامة على وجهها:

ـ إطلاعي؟ ولم علي معرفة ذلك بحق الله يا مايك؟ لا أعتقد أن هذا الزفاف، لو حصل، قد يؤثر في العمل الذي نقوم به كما أن...

ثم هزت كتفيها بلا مبالاة:

ـ نعم.

خرج مايك عن هدوئه المعتاد وكانت لتشعر بالأسى تجاهه في ظروف أخرى. لكنها، كانت ترغب في إحباطه.

ولِمَ تشعر بهذا الغضب على أيّ حال؟ فكينغسلي وارد لا يعني لها شيئاً، لا شيء أبداً.

أخذت نفساً عميقاً، والتفتت إلى مايك ثم راحت تحدّثه عن بعض المشاكل الثانوية التي تواجهها مع مشروع كينغسلي كما لو أنهما في طريقهما إلى العمل كأي يوم آخر.

ومنذ تلك اللحظة، تحوّل الأسبوع من سيء إلى أسوأ. لكن نهار الجمعة حلّ أخيراً وانتهت مشاكل الأيام الماضية من عرقلات وتأخير،

ووعود منكوثة يبرع فيها البناؤون فانحلت الأزمة العامة.

ستمضي عطلة الأسبوع مع إحدى خالتيها. فلوالدتها أختان ومع أن روزالي لا تراهما كثيراً إلا أنهما تساندانها دوماً عندما تحتاج إليهما وتقيم خالتها في كينغستون على ضفاف نهر التايمز وستأتي لتقلّها من المكتب لذا حملت معها حقيبتها إلى العمل.

كانت مستغرقة في التحقق من لائحة أرقام وفي الحسابات في الساعة الخامسة عندما سمعت طرقاً على بابها. وكانت جيني قد ذهبت باكراً إلى منزلها بسبب صداع حادٍ ألمّ بها، فصاحت:

ـ أدخلي بيتْ، دقيقة وأجهز.

كانت خالتها تكبرها بعشر سنوات فقط ولطالما كانت علاقتهما علاقة صداقة عوضاً عن العلاقة التقليدية بين الخالة وابنة أختها. إنها إحدى أفضل صديقاتها رغم التباين بين حياتيهما.

ـ لقد سميت باسماء عدة في حياتي لكن اسم «بيث» جديد عليّ.

رفعت رأسها نحو ذلك الصوت العميق المرح الآتي من الجانب الآخر من الغرفة. وجفّ فمها وهي تقول: «أهلاً كينغسلي».

سرّها أنها جالسة. بادلها التحية بنعومة: «مرحباً روزالي».

كان متكئاً إلى الباب المفتوح وقد بدا جذاباً بل أكثر جاذبية من أي رجل آخر. لم يكن يرتدي بزة من تصميم أرماني اليوم بل بنطلوناً عادياً وقميصاً مفتوحاً عند العنق قمحي اللون فبدا فتاكاً. وحارت ما إذا كان السبب ثيابه أم جسده. قالت بغباء: «حسبتك خالتي».

ـ لكني لست كذلك كما ترين.

ـ لا.

وابتلعت ريقها وأرغمت نفسها على الابتسام وهي تضيف:

ـ بمَ أخدمك في هذا الوقت المتأخّر؟

عبر الغرفة ففاحت رائحته الذكورية في المكان. جلس على طرف مكتبها ما أثار رعبها إذ كان يتصرف كما لو أنه يملك الحق في الجلوس

أينما شاء. كان شعره الأبنوسي أقصر مما تذكر، وهذا المظهر الصارم عزز من جاذبية عينيه بأهدابهما الطويلة. ولكنه اضطر حتماً إلى قصه بسبب الزفاف كما خطر لروزالي، فهو يريد الظهور بأفضل حلة من أجل...

ـ أتمانع؟

وأشارت إلى الأوراق التي تغطي مكتبها مضيفة: «قد تختلط ببعضها».

نظر إلى الأوراق ثم إليها واستقر بصره عليها فاحمرّت. سأل بهدوء: «ماذا هناك؟».

ردّت ببرود: «لا شيء. لا أريد أن تختلط الأمور ببعضها وهذا كل ما في الأمر».

عقد ذراعيه فوق صدره: «وأنا أخلطها؟».

ـ ما عنيت ذلك.

كان يدرك ما تعنيه. تباً له!

سأل بنعومة: «كيف حال قدمك؟».

ـ أفضل بكثير.

وسرعان ما تذكرت أصول اللياقة فأضافت:

ـ شكراً على الزهور.

ـ هل سترين خالتك الليلة؟ كنت آمل أن نتعشى سوياً.

وتجرأ على الابتسام لها.

لم تصدق ما تسمع! لم يتكلّف عناء الاتصال بها لأسابيع ليأتي فجأة متوقعاً منها أن تكون مستعدة لترك كل شيء.

ضاقت عيناها ببرود: «آسفة أنا مشغولة».

ـ أمر مؤسف.

لقد اجتاز للتو المحيط الأطلسي عائداً ما إن أنهى الصفقة التي كان يناقشها في الأسابيع الماضية، وما إن انتهى عرس الكسندر.

ـ هل أنت حرة غداً؟

ـ سأغيب في عطلة نهاية الأسبوع.

أمر غريب! لكنها لم تجد متعة في رفض عرضه كما تصورت أنها ستفعل في الأيام الماضية عندما سمحت لتفكيرها بمناقشة إمكانية حصول ذلك. لم يكن الأمر ممتعاً أبداً في الواقع.

رد ببساطة: «إنها الخالة أليس كذلك؟».

أومأت بالإيجاب. وعندئذ، قامت بما عاهدت نفسها قطع لسانها بدلاً من القيام به فسألت بصوت حاولت أن تجعله يبدو عادياً قدر المستطاع: «كيف كان الزفاف؟».

بدا متفاجئاً لكنها لاحظت أن عينيه خاليتان من الذنب وقال:

ـ الزفاف؟ هل ذكرته قبل رحيلي؟

كان يعرف تمام المعرفة أنه لم يذكره، كما لم يجد من المناسب أن يلفت الانظار إلى الآنسة كاناري.

هزت روزالي رأسها وقالت بمرح:

ـ اشترت زوجة مايك مجلة غطت الحدث فأنت مشهور على ما يبدو.

عبس قائلاً: «تقصدين اليكس فهو يملك نصف ولاية نيويورك أو عائلته بالأحرى. إنه شاب رائع لكن الحياة في قفص ذهبي قد تغدو رتيبة».

فقالت بنبرة خالية من التعاطف: «أنا واثقة من ذلك».

انحنى نحوها متجاهلاً الأوراق التي تطايرت على الأرض وقال:

ـ حسناً روزالي. لِمَ هذا الجليد؟

قالت بصرامة: «لست أدري ما تعنيه».

رقّ فمه ولكن صوته بدا أنعم من ذي قبل.

ـ بالطبع تعلمين. طلبت منك تناول العشاء معي فبدا وكأنني أهنتك. لا، شكراً لك، عبارة كافية بالطبع؟

ـ لقد صودف وجودك في لندن اليوم وتتوقع مني الارتماء بين ذراعيك

بامتنان لمجرد أنك اقترحت بضع ساعات معاً؟

قالت هذا بضيق ثم شعرت بالندم فور تجاوز هذه الكلمات لشفتيها. لقد صممت على المحافظة على برودها وتماسك أعصابها حين تلتقيه ثانية وها هي الآن تطالبه بمعرفة سبب انقطاع أخباره عنها. إنه أسوأ أسلوب تتبعه، هذا ما خطر لروزالي البائسة. لكن يبدو أنها لا تستطيع التفكير بشكل سليم في وجود هذا الرجل.

نزل عن المكتب ودار حول كرسيها ثم أوقفها على قدميها رغم كاحلها المصاب:

ـ أهذا ما تعتقدينه؟ أنك مجرد اسم في مفكرتي؟

أمسك بذراعيها فعجزت عن الحراك لكنها رفعت رأسها بتحدٍ ونظرت إلى وجهه معلنة:

ـ أجل في الواقع.

وتأكدت من أن يدرك أنها تعني ما قالته. توقعت أن يتصاعد غضبه إلا أنه تأملها بجفاف وقد أحنى رأسه جانباً وقال بنعومة:

ـ بعض الفتيات لا يمانعن. إن الدعوة على العشاء من دون أي ارتباط هو مطلب غالبية النساء العاملات في هذه الأيام... ما من تعقيدات أو قيود مربكة.

حارت جواباً فتمتمت: «تملك جواباً لكل شيء، أليس كذلك؟».

لم يكن صوتها قاطعاً كما أرادته أن يكون. وقد رجحت أن يعود السبب إلى عطره العابق حولها والذي جعل رأسها يدور.

ـ صحيح؟

كانت نبرة صوته غريبة وعندما دنا منها أكثر عجزت تماماً عن الحراك.

ـ آه. أنا آسفة.

تعالى صوت مرتبك من الباب ما جعل روزالي تدير رأسها فيما شدّها كينغسلي إليه بحزم.

لم تشعر روزالي يوماً بمثل هذا الإرباك:

ـ بيث، لم أسمعك تدخلين، أعني...

ـ لا بد أنك خالة روزالي.

بدا كينغسلي ساحراً عندما أعاد روزالي برفق إلى كرسيها قبل أن يجتاز الغرفة ويمدّ يده إلى تلك السيدة الجميلة الواقفة على العتبة قائلاً:

ـ كينغسلي وارد. كيف حالك؟ كنت آمل أن أفاجيء روزالي وأدعوها لتناول العشاء لكن يبدو أنني تأخرت.

بدت أسنانه ناصعة البياض وابتسامته ساحرة كما فكرت روزالي غاضبة وهي ترى «بيث» خاضعة لسحره وكأنها واقفة تحت تأثير مغناطيسي.

ـ آه، أمر مؤسف.

رمقت بيث روزالي بنظرة خاطفة فتأوهت تلك الأخيرة لرؤية البهجة في عيني خالتها. لطالما لاحقتها بيث منذ سنوات علّها تجد رجلاً طيباً وتستمتع بالحياة، فهذان المطلبان متلازمان في عقلية خالتها وبدا أن كينغسلي هو الجواب عن كل أمنياتها.

سألت باهتمام: «هل أتيت من بعيد؟».

عبس بزهو: «نيويورك. ليس بعيداً جداً».

لن تؤخذ بيث بهذا الكلام، أليس كذلك؟ ولكن يبدو أنها ستفعل.

ـ أحقاً؟ إنه أمر مؤسف. إسمع، روزالي ستمضي معنا عطلة نهاية الأسبوع. لِمَ لا تأتي أيضاً؟ لدينا غرفة فارغة الآن بما أن الأولاد يقيمون خارجاً. لدينا ولدان في الجامعة والثالث في اسكتلندا يعمل كعالم آثار أو ما شابه.

ـ آثار. هذا مثير للاهتمام لكني لا أستطيع أن أفرض نفسي...

ـ لن تفرض نفسك إذ سيسرنا استقبالك، أليس كذلك روزالي؟

بدت بيث متحمّسة للموضوع الآن. طالعها زوجان من العيون الأول بني اللون والثاني يلمع بشرارات زرقاء عابثة.

نبهت روزالي نفسها إلى أن خالتها عاشت حياةً آمنة وقد يغمى عليها لو قالت لها ما تفكر به.

ـ أنا واثقة من أن لدى كينغسلي أموراً يقوم بها خلال العطلة بيث.

وأضافت بضيق: «فهو رجل دائم الانشغال».

وحدقت إليه بحزم فيما كانت تتكلم.

التفتت بيث إلى الرجل الأسمر الجذاب المديد القامة قبالتها:

ـ لكنه يجهد نفسه ولا يمرح.

وخطر لبيث أن هذا الرجل صيد ثمين فلو بحثت بين الرجال كلهم في لندن، لما استطاعت إيجاد عريس أفضل منه لروزالي.

أما روزالي فكانت تعلم أنه أحسن التلاعب بالموقف. رباه! كم يجيد التلاعب. فتحت فمها لتعيد خالتها إلى صوابها لكن كينغسلي كان لها بالمرصاد! ألم تكن تتوقع ذلك؟

قال بتواضع لا يحتمل: «إذا كنت واثقة من أنّ لا بأس في الأمر، فأود فعلاً المجيء. أتيت خصيصاً لرؤية روزالي مباشرة من المطار لذا أحمل معي أغراضي كلها في السيارة لحسن الحظ. سيكون رائعاً قضاء عطلة نهاية الأسبوع مسترخياً.

كان الموقف فوق احتمالها وكادت روزالي تختنق من الغضب. كيف يمكن لبيث أن تدعوه بهذه الطريقة من دون مراجعتها أولاً؟ لكنها أدركت السبب، لقد نظرت خالتها إلى تينك العينين الزرقاوين وفقدت صوابها.

ـ رائع.

راحت بيث تتلوى فرحاً وأضافت: «إذن، تم تسوية المسألة وسيمنحك ذلك فرصة للقاء زوجي جورج إذا نجحنا في إبعاده عن أبحاثه فهو منهمك في تحضير بحث حول أصول التشبيهية، مهما كان معنى هذه الكلمة».

وزوّدها كينغسلي بتفصيل حول ما ذكرته عن طبيعة البحث: «أعتقد أنها تعني عزو الصفات البشرية إلى غير العاقل».

حدّقت بيث إليه بإعجاب:

ـ أجل، هذا صحيح! يا إلهي، أنت ذكي وستنسجم مع جورج فهو أستاذ محاضر في جامعة سيتي وأظن أنه يشتاق إلى مناقشة ذكية الآن بما أن الأولاد غادروا المنزل. فهم يشبهونه أكثر مني.

ـ إذن، هم الخاسرون برأيي.

ستمرض إذا ما استمعت إلى المزيد. سعلت روزالي عن قصد وقالت بحدة عندما استرعت انتباههما:

ـ آسفة، لكني سأبقى عشر دقائق أخرى لإنهاء عملي. لِمَ لا تزودين كينغسلي بالعنوان يا بيث ويمكنه اللحاق بنا لاحقاً.

ما سيتيح لها فرصة شرح الموقف لخالتها لتوضح لها استحالة وجود أي علاقة بينهما.

لكن بيث أضافت بفرح: «أو لما لا أختفي بداعي التسوّق وسأراكما لاحقاً في المنزل؟ يمكنك أن ترشدي كينغسلي... همم. اسم غريب أليس كذلك؟».

قاطعت نفسها في منتصف الحديث كما تفعل دائماً. فابتسم كينغسلي:

ـ أصدقائي ينادونني كينغ وأنا واثق من أننا سنغدو صديقين.

تمتمت بيث: «سأدعوك إذاً كينغ. آه، يا له من اسم عظيم!».

أطبقت روزالي عينيها للحظة فيما أردفت بيث:

ـ على أيّ حال، وكما كنت أقول، تستطيع لي إرشادك. أراك لاحقاً.

ـ سيكون ذلك رائعاً. شكراً بيث.

واستدار كينغسلي نحو روزالي واستقرت عيناه على وجنتيها الملتهبتين وعينيها الحمراوين. قال بلطف قبل أن يدفع بيث معه نحو الخارج ليغلق الباب وراءهما: «سأنتظر خارجاً في مكتب سكرتيرتك حتى تجهزي».

حدّقت روزالي إلى الباب مدة عشر ثوان كاملة ثم انهارت على

كرسيها وقد أطلقت زفرة ارتياح طويلة. لم تعلم ما إذا كانت ترغب في الضحك أو البكاء. من غير كينغسلي قادر على تحقيق مآربه بهذه البراعة؟ إنه مدهش وهي لا تقصد ذلك بمعنى المدح أيضاً.

أخفضت بصرها إلى الأوراق على مكتبها لكنها فقدت تركيزها على عملها. كانت فكرة قضاء عطلة نهاية الأسبوع مع كينغسلي غير واقعية. ولكن ماذا عن تلك الاشبينة؟ أين موقعها على خارطة الأمور؟ هل هي واحدة من النساء العاملات اللواتي تكلم عنهن، أي اللواتي يخرج معهن لتناول العشاء من دون أي ارتباطات أو التزامات؟ أم أن الشائعات التي تكلم عنها مايك صحيحة وستصبح قريباً السيدة وارد؟

لكن روزالي ما لبثت أن طمأنت نفسها إلى أن ذلك لا يشكل أي فارق بالنسبة إليها. إنما لو أن الاحتمال الثاني صحيح، لما كان هنا الآن.

وضعت يديها على وجنتيها الساخنتين فيما راح قلبها ينتفض. لم تكن تريد شيئاً من هذا أبداً. وتصاعد الرعب في نفسها فأحست بطعمه في حلقها. إنها تعيش حياة جيدة ولم تشأ أن يفسدها أي كان أو أي شيء ولكن كينغسلي يتمتع بالقدرة على القيام بذلك.

أبعدت شعرها عن وجهها الملتهب وأدركت أن يديها ترتجفان فعجزت عن القيام بشيء حيال ذلك.

عليها أن تتمالك نفسها فهذا ما تحتاجه تماماً كما كان الأمر مع مايلز. لقد اقتحم مايلز حياتها فأسرها بسحره وجاذبيته وسيطر عليها حتى باتت ترى الأمور من منظاره.

كانت في الثامنة عشرة عندما التقته وقد شارفت على الحادية والعشرين عندما افترقا. وهي لم تعش سوى في تلك الأشهر القليلة الأولى من علاقتهما. كانت تخشى إغضابه وخسارة حبه فتقبلت أنها هي الملامة دوماً مهما كانت الظروف. «إنها ابنة أمها».

استقامت وقد جعل العار والذل ظهرها يتصلّب. إن عدم التورط يعني الأمان عندما يتعلق الأمر برجل مثل كينغسلي، وعليها أن تتذكر ذلك في

هذه العطلة، فالأمر بالنسبة إليه مجرد ترفيه لا أكثر.

مضت خمس عشرة دقيقة قبل أن تغادر مكتبها، وبعد أن غدت متحكمة بنفسها مجدداً. نظر إليها كينغسلي من حيث جلس يطالع مجلة سيارات. ثم نهض ملقياً المجلة على الطاولة المجاورة للكرسي المخصص للزوار، وقال وقد خلا وجهه من أي تعبير:

ـ لا تعبسي هكذا فستشيخين قبل الأوان.

أجبرت روزالي نفسها على عدم الانفعال لأن هذا ما يريده تماماً. كانت ابتسامتها مشرقة وعيناها باردتين ولكنها أبقت صوتها مرحاً: «سأجازف».

ـ لن تقولي ذلك في الخمسين عندما تشبهين خوخة مجففة بدلاً من دراقة.

وابتسم لها ابتسامة عريضة، ابتسامة لم ترها سوى مرة أو اثنتين، لكنها لامست زرقة عينيه الباردتين كأشعة شمس دافئة.

من الصعب البقاء على انزعاجها ومحاولة وضع حدّ له أمام هذا التحوّل لكنها جاهدت لإبقاء وضعها على ما هو عليه.

وفجأة، أمسكتها ذراعاه القويتان بعد أن توقف عن الابتسام وسألها بنعومة: «ما كان اسمه؟».

ـ ماذا؟

لقد هاجمها على غفلة فلم تحاول تحرير نفسها.

ـ ذاك الرجل الذي جعلك تضعين إشارة «إياك».

طرفت عيناها ونظرت إليه بتحدٍ: «ليس لديّ أدنى فكرة عما تتكلم».

ـ كاذبة.

حامت نظرته على وجهها فأحرقته.

ـ شخص ما أذاك وبعمق. ما كان اسمه؟

ـ كينغسلي، دعني.

ـ يمكننا البقاء هنا طوال الليل إذا شئت ولكنني أود معرفة اسمه.

ثم غلّفت النعومة كلامه الصلب: «كلما توثقت معرفتي بك، ازددت جهلاً وأنا لا أحب ذلك».

بدت عيناه الزرقاوان صافيتين هادئتين وصارمتين. رفعت رأسها قليلاً وقالت بضيق:

ـ حسبتك أكثر انشغالاً من أن تهتم بي.

نظر إليها وقد بدت تعابيره غامضة وقال بهدوء:

ـ ينبئني حدسي بأنك لا تشيرين إلى جدول أعمالي، صحيح؟

تباً له! هزت كتفيها محاولةً الابتعاد لكن قبضة يديه اشتدت.

ـ أنت تستكملين فكرة الاسماء في المفكرة التي كونتها عني. هل أنا محق ثانية؟

كان صوته مستجوباً فاحتجت بقولها:

ـ أنت من ذكر تلك القصة عن الأسماء في مفكرة. وأنا بالكاد قلت. . . .

ـ أعرف ما قلته روزالي؟

وفجأة، أحنى رأسه وعانقها. حاولت الانسحاب لكنه سجنها بين ذراعيه. إحساسها بقربه جعلها تذوب وتتجاهل الصوت الصغير في رأسها الذي ذكّره بأن ما تفعله جنون.

رنين الهاتف على مكتب جيني قطع دوامة الأحاسيس التي جرفتهما. وفيما كان المجيب الآلي يسجّل الرسالة الصوتية من شخص ما بشأن مشكلة في الحسابات، قال كينغسلي بنعومة:

ـ لن أعانقك هكذا لو كنت مرتبطاً بإحداهن يا روزالي. قد أخرج معك للعشاء أو في موعد حيث أبقي الأمور تحت سيطرتي ولكن علاقتنا لن تكون حميمة.

حاولت أن تعكس عدم التصديق في صوتها لكنها كانت ترتعش بقوة: «مجرد صداقة أفلاطونية؟».

ـ أجل.

هل صدقته؟ حدّقت إلى العينين الزرقاوين وأقرّت بأنها حائرة. لقد صدّقت مايلز وانظروا إلى أين وصل بها الحال. اعتصر الألم قلبها لمجرد التفكير بمايلز ويبدو أن مشاعرها انعكست في عينيها لأن كينغسلي قال: «ستضطرين عاجلاً أم آجلاً للغطس في المياه مجدداً. أنت تدركين ذلك، اليس كذلك؟».

لم تدرك على الفور ما أقرّت به حين سألته: «ولِمَ عليّ ذلك؟».

ـ لأنك جميلة جداً وجذابة... فأي كان هذا الشخص يا روزالي أو مهما كان ما فعله، المستقبل لك ويمكنك تشكيله حسب هواك. هل تؤمنين بذلك؟

التزمت الصمت فالمشاعر التي أثارها عناقه اختفت. عندئذ، قالت بصوت هادىء جداً: «كان اسمه مايلز ستيوارث».

أعقب ذلك جمود مؤقت بدا لها أزلياً.

فقال بلطف، بلطف شديد: «و؟».

ـ التقينا عندما كنت في الثامنة عشرة، تزوجت في التاسعة عشرة وتطلقت في الحادية والعشرين.

كان صوتها أعلى الآن وقد بدا الألم جلياً على وجهها. لقد روت له قصتها وانتهى الأمر.

أصرّ بنعومة: «أي عندما كنت في الجامعة».

أومأت ايجاباً. وهذا أقصى ما يمكنها أن تطلعه عليه.

إن كينغسلي وارد خبير في الأعمال والصفقات الكبيرة منذ خمس عشرة سنة وقد شعر بأن الفرصة سانحة للحصول على مزيد من المعلومات فقال وهو يدرك أنه لا يحق له طرح السؤال:

ـ وقد آذاك؟

كان جوابها قاطعاً: «لا أريد الكلام عنه».

أخذ نفساً عميقاً وقد شعر أن المنافذ أقفلت أمامه فرد بهدوء:

ـ حسناً. ولكن ما قلته سابقاً صحيح. إنه الماضي وعليك أن تعيشي

الحاضر.

لم يكن لديه أدنى فكرة عما يتحدث عنه. نظرت إليه روزالي بثبات، فالقرارات والعواقب لعبة بغيضة يمكن لفتاة في الثامنة عشرة أن تخسرها بسهولة.

سألها بعد برهة قصيرة: «هل خضعت لعلاج؟».

بدا صوتها قاطعاً عندما قالت: «هذه إنكلترا وليست الولايات المتحدة».

ثم خففت لهجتها وأضافت: «لا أريد، كما ذكرت، الكلام في الموضوع».

قال بهدوء: «ولكنك ناقشت الأمر مع أحدهم؟ هل حصل ذلك حينها أم لاحقاً؟»..

استطاعت روزالي سماع خفقات قلبها. لم تكن ترغب بالتفكير في مايلز حتى ولو لثانية، فمجرد التفكير فيه يشعرها بالغثيان. ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت بحذر:

ـ لم أفعل. لم يكن ذلك ليجدي نفعاً.

في الواقع، كان الأمر ليتسبب بقتلها وسيبقى كذلك رغم مرور عشر سنوات. فثمة أمور مشينة لا يمكن مشاطرتها مع أي إنسان آخر.

ـ لقد تزوجته وكانت غلطة. هذا ما يحتاج الكل لمعرفته.

تباً له! أومأ كينغسلي وقال ببساطة:

ـ طبعاً. ولكن بالعودة إلينا...

ـ نحن؟ ولِمَ صيغة الجمع؟

ظهر رعب حقيقي في صوتها فيما بدا صوته مخملياً ناعماً عندما أعلن:

ـ نعم «نحن» يا روزي سواء شئت ذلك أم أبيت، وذلك منذ تقابلنا. يمكنك تسميته ما شئت لكن جسدك كان يدرك ما يريده قبل أن تحملي عقلك على تقبله.

رفع حاجبيه متحدياً إياها أن تعترض، فقالت بصراحة:

ـ أنت تتحدث عن انجذاب جسدي فقط.

التمعت عيناه: «أصبت يا روزي»..

ـ لا تنادِني روزي فالكل غيرك يختصر اسمي بـ لي.

كانت ملاحظتها ثانوية لكنها حيوية ومهمة.

عندئذ، أصاب كينغسلي الهدف وخمن ما تشعر به عندما قال بنعومة:

ـ ولكني لست كغيري، أليس كذلك؟

ارتعشت. لا، لم يكن!

ـ كما أن اسم لي بارد، مبهم، صبياني تقريباً. روزي اسم دافىء، ناعم ومثير فعلاً.

انحنى يلتقط العكازين بعد أن سقطا حين عانقها. وأضاف بجفاف:

ـ ولكن كفانا كلاماً فبيث تنتظرنا في المنزل.

همست وقد أدركت بانزعاج أنها خسرت على ما يبدو كل جولة في هذا الحديث:

ـ لا أصدق أنك دعوت نفسك لهذا الأسبوع.

تأملها رافضاً إظهار الندم:

ـ بل صدقي وأنت لم تري شيئاً مني بعد روزي. ثقي بي في هذه النقطة تحديداً.

* * *

٥ ـ وتنتفض الذكريات

كانت تلك الأمسية من حزيران دافئة عابقة بشذا أمسيات الصيف حين توقفت سيارة كينغسلي أمام منزل بيث وجورج. وغمرت السعادة روزالي لأن كينغسلي لم يجد ما يقوله لأول مرّة. لم تنبئه بما ينتظره وبدا واضحاً أنه ذهل لمرأى الكوخ القديم المغلف بالورود والياسمين والرياحين والذي تحيط به حديقة فيكتورية الطراز.

استدار إليها بعد لحظات وقال بصوت مفعم بالتقدير: «يا له من مكان!».

ـ إنه جميل. أليس كذلك؟

لم يتفوّها بالكثير على الطريق ما بدد بعض التوتر الساند بينهما فاستطردت مبتسمة:

ـ الحديقة الخلفية توازي ما نراه جمالاً فهي مليئة بزهور النرجس وبالنباتات المتعرّشة وكافة أنواع الزهور التقليدية. لطالما اعتقدت أن هذا المكان هو قطعة من الجنة... إنها جنة إنكليزية.

قال مبتسماً: «مقاعد سور خشبية وحديقة ورود وتعريشة. أراهن على أن الحديقة تحوي كل هذا».

أومأت ايجاباً: «ورود متعرشة تتسلّق الجدران الحجرية العتيقة وأشجار تفاح وخوخ. إنها حديقة مثالية بالنسبة لي».

قال بنعومة محدّقاً إلى النوافذ المؤطرة بشكل جميل:

ـ لا بد أنه يساوي ثروة. لم أكن أعلم أن الأساتذة يتقاضون رواتب

جيدة هنا.

- إنهم لا يفعلون. لكن والد جورج كان رجلاً مهماً في المدينة، يعمل في التجارة، وقد يبدو الأمر مفاجئاً عندما تلتقي جورج. إنه شخص محبوب ولكنه لا ينتمي إلى هذا العالم. إنه نابغة في مجاله لكنه لا يعرف تاريخ اليوم في أغلب الأحيان. بيث هي المرأة المثالية له فهي أم أكثر منها زوجة. وعلى أيّ حال، بما أنه ولد وحيد فقد ورث كل شيء عندما توفي والداه في حادث سيارة وذلك بعد زواجه من بيث. وهكذا، قررا استثمار أموالهما في قطعة الجنة التي تخصهما الواقعة على مقربة من الجامعة. حصل ذلك منذ عشرين سنة بالطبع. ومنذ ذلك الحين، ارتفع سعر الملكية بجنون. كان استثماراً موفقاً وأظن أن والد جورج كان ليفخر به ولو لمرة!

- من دون شك!

استدار ليواجهها وهما داخل السيارة الصغيرة ومدّ يده يلمس شعرها الحريري اللامع ثم مرّر إصبعاً على بشرة وجنتها الناعمة وهمس وكأنه يكلم نفسه:

- خليط من الدراق والقشدة، وانكليزية للغاية. لكن الجانب الفرنسي ظاهر أيضاً.

لقد سبق لروزالي أن أطلعته خلال انتظارهما في المستشفى قبل أسابيع أن والديها توفيا حين كانت صغيرة.

فسألها الآن: «والداك؟ هل توفيا في حادث كوالدي جورج؟».

أجابت بالطريقة التي ارتأتها العائلة لمعالجة موضوع انتحار والدها:

- توفيت أمي إثر نزيف في الدماغ وعجز والدي عن متابعة الحياة من دونها.

فأكمل بهدوء: «لذا أنهى حياته؟».

أومأت موافقة وقد احمرّت قليلاً. لم تجد يوماً صعوبة في إغفال الوقائع الدقيقة التي تعبّر عن الحقيقة بشكل مختلف لكنها شعرت

بالانزعاج الآن. لذا، أحست بالارتياح لدى رؤيتها بيث على عتبة المنزل تدعوهما إلى الدخول.

- بيث تنادينا.

استدارت لتفتح بابها ولكنه أمسك بيدها للحظة قبل أن يقول بهدوء:

- لقد بدأت حياتك بطريقة قاسية بشكل أو بآخر.

- ثمة من اختبر الأسوأ.

كان يشعرها بالذنب أكثر لذا أوضحت له: «كان جداي رائعين معي وقد أفسدتني خالتاي بالدلال. قد تلتقي جين فهي تأتي عادة للزيارة إذا علمت أني هنا. إنها تسكن في الجوار».

لِمَ قالت ذلك؟ كان كلامها شخصياً جداً كما لو أنه صديقها الحميم أو ما شابه. لم تكن تريده أن يلتقي بأقربائها أو يعرف أخبارها.

ابتعدت عنه الآن وقد عادت متصلبة مع الآخرين. لطالما عملت على إبقاء الجنس الآخر على مسافة منها منذ قصة مايلز، حتى ولو كانوا غير مؤذيين. وها هي الآن في وضع هو الأكثر سخافة، من دون أيّ ذنب. قد تكون بيث من أكثر النساء عطفاً وأحسنهن ضيافة على الأرض لكنها لم تكن الآن في مزاج يسمح لها بتقدير كرم خالتها.

أملت ألا ينسجم كينغسلي مع جورج فسيسأم كينغسلي حتى الموت هنا.

كانت دوماً تمضي وقتها مع بيث لدى زيارتها لهما لأنها تعلم كم غدت خالتها وحيدة مع رحيل أولادها ومع انهماك جورج في أبحاثه حين لا يكون في الجامعة. لذا لم ترَ داعياً لتغيير عاداتها لمجرد تلقّي كينغسلي دعوة. ربما سيستسلم ويرحل باكراً إذا غدت الأمور مملة بالنسبة إليه؟ فهو معتاد على نمط حياة الطبقة الراقية.

- ها أنت تعبسين ثانية.

كان كينغسلي قد استدار حول السيارة وفتح لها الباب ثم أعانها على الخروج. وبدا صوته ناعماً حين أضاف:

ـ ابتسمي بعذوبة بيث إذ لا نريد إزعاج خالتك الرائعة، أليس كذلك؟

تمتمت بشتيمة جعلته يطرف وابتسمت في وجهه وقد شجعها هذا الانتصار الصغير ثم توجهت نحو المدخل وهي تلعن الجص وعجزها عن السير بأناقة أمامه.

استلطف جورج وكينغسلي بعضهما وأظهر كينغسلي اهتماماً كبيراً بعمل جورج الذي دعاه لشرب كوب من الشاي قبل العشاء.

تأوهت روزالي في سرّها وهي تتأمل تعبير الرضا الذي ارتسم على وجه خالتها. بدت كأم هانئة وراضية عن التقدير الذي يلقاه «ابنها» اللامع.

وعندما لم يعد باستطاعتها تحمل المزيد، وضعت روزالي شرابها قائلة:

ـ سأرافق كينغسلي ليرى الحديقة.

ودفعته للخروج من الأبواب المفتوحة، إلى ضوء المساء المتلألىء:

ـ لست مضطراً لمجاراته بهذا الحماس.

أعلنت ذلك بقوة ما إن ابتعدا عن المنزل بحيث لا يمكنهما سماعهما. لكنه جذبها إلى مقعد أدفأته أشعة الشمس قرب شجرة عتيقة بدت وكأنها منحوتة عملاقة تسلقتها الورود العطرة، ثم قال: «لكني مهتم بحديثه».

وأضاف مؤنباً: «اجلسي واسترخي فأنت متوترة جداً. يجب أن تتعلمي الاسترخاء».

الاسترخاء؟ كان بإمكانها أن تنال قسطاً من الراحة في هذه العطلة لكن وجود كينغسلي سيمنعها من الاسترخاء. لم تشعر يوماً أنها مكبّلة كحالها الآن.

رأت زوجاً من الطيور الزرقاء منهمكاً ببناء مكان لقضاء الليل في الشجرة، فأبقت روزالي بصرها على العصفورين الصغيرين مرغمة نفسها على التماسك. أمامها عطلة أسبوع بكاملها ولا يمكنها السماح له بالنيل منها بسهولة.

على أيّ حال، أدركت والألم يعتصر قلبها أنه قريب منها وقد أفرد يداً

على ظهر المقعد الخشبي فأصبح جسده مائلاً نحوها.

تمطى كينغسلي وبدا صوته سلساً عندما قال:

ـ هذا رائع، أليس كذلك؟ هذا المكان ساكن للغاية.

ـ لم أكن أظن أنك من النوع الذي يسعى إلى السكينة والسلام.

خرجت هذه الكلمات من بين شفتيها ثم ندمت على الفور لأنها تفوّهت بها.

ـ لا؟

واقترب منها أكثر مديراً وجهها نحوه: «ولِمَ لا؟».

احمرّت روزالي وقالت بعد لحظة: «إنها سمعتك وحسب».

لكنها أدركت أنه لن يدع الأمر يمرّ مرور الكرام. وبدا غير مستعد لتحرير ذقنها.

ـ وما هي سمعتي؟

ـ تبذل قصارى جهدك في اللعب واللهو.

ـ آه، فهمت.

لم تكن متأكدة مما فهمه ولكنه قال لاحقاً: «لست آلة يا روزي. أنا أتعب وأصاب بالمرض في بعض الأحيان. إذا خدشتني فسأنزف كأي رجل آخر».

أخفضت عينيها فقوة نظرته أربكتها ثم قالت مترددة: «أدرك ذلك، بالطبع أعرف».

ـ لا أظنك تعرفين.

حررها، وبقيا جالسين بصمت يغمرهما الهواء الدافىء العطر. كان النحل يطن منهمكاً بالتنقل بين الزهور مولياً عناية خاصة للورود وقد أحيا شدو الطيور الأمسية.

لِمَ لم تحضر مايلز أبداً إلى هنا؟ كانت يداها مشدودتين فأجبرت نفسها على إرخاء أصابعها تدريجياً. هل يعود السبب إلى حياة الجامعة السريعة الايقاع وإلى دائرة الأصدقاء الواسعة؟ أم أنها خشيت أن تكتشف

بيث ذلك الشرخ في علاقتهما الذي بدأ يظهر بعد مرور فترة قصيرة على مراسم الزفاف؟ هل خشيت أن تلاحظ خالتها ميل مايلز إلى العنف والقمع كحال زوج شقيقتها؟

تململت بخفة وأبعدت خصلة من شعرها عن وجهها. ولكن والدها كان لديه عذر ليتصرف على هذا النحو. لا، ليس عذراً كما صححت لنفسها بل دافعاً وراء أعماله يبرر هوسه المرضي بأمها. لقد أحبها كثيراً وعذّبها وتلاعب بها بقدر ما أحبها.

كان مايلز مثالاً حقيقياً للولد الغني المدلل الذي يتمتع بشعبية وبمحبة الكل لأنه الولد الوحيد الذي تلبّى طلباته كلها منذ ولادته.

ـ أنت لم تنسيه بعد، أليس كذلك؟

بدا الصوت المحاذي لها هادئاً جداً وفيما أغمضت روزالي عينيها لئلا تراه، غطى يدها بيده رافضاً إفلاتها عندما أرادت سحبها وقال بنعومة:

ـ إنه موجود هنا الآن، أليس كذلك؟ إنه الشبح الصامت فوق أكتافنا.

تقلصت معدة روزالي. نظرت إلى البعيد وقد ضاق فمها من دون وعي منها. كيف تمكّن من قراءة أفكارها؟ سألها كينغسلي: «هل ما زلت تحبينه؟».

ـ أحبه!

حمل صوتها مقداراً من الضغينة فتأكد كينغسلي من كرهها له.

إذن، لقد أساء فهم الأمور. وغمره الارتياح للحظة قبل أن يراوده السؤال عن موضع الخطأ.

ـ إذن، أنت لا تهتمين لأمره؟ لِمَ يؤثر في حياتك؟

ـ قلت لك سابقاً. لا أريد التحدّث عن مايلز.

ثم أضافت وهي ترتجف بعد أن رفض صوتها إطاعتها عندما أمرته بالثبات والهدوء:

ـ أشعر بالبرد، فلندخل.

تحداها بنعومة معتصراً يدها فيما هو يتكلم:

ـ لا، أنت لا تشعرين بالبرد. وأنا أحاول فقط أن أستوعب ما حدث لك، هذا كل ما في الأمر. لا أريد إثارة الذكريات المؤلمة ولكن ثمة طرف ثالث صامت بيننا منذ التقيتك لأول مرة. لم أكن أعرف طبيعة المشكلة في البداية لكنه هو، حبيبك السابق، أليس كذلك؟

شعر بتراجعها حتى وإن لم تحرّك ساكناً وأدرك أنه على صواب. كما أدرك أنه بالغ قليلاً فهذه ليست طريقته في معالجة الأمور. شتم نفسه لغبائه. لقد سبق له أن عرف الحب والالتزام وتعرّض للهجر وترافق ذلك مع شعور بالإذلال رافقه بقية حياته.

ـ لا يحق لك أن تستجوبني بهذه الطريقة.

إنها محقة، لا يحق له ذلك. قال بعبوس:

ـ بل أملك الحق. فأنت الآن معي وليس معه. ولا أحب الرفقة الثلاثية.

يجب أن تتمالك نفسها مجدداً. ما كان بإمكانه أن ينفوه بأي شيء أسوأ من ذلك.

إنهم من طينة واحدة، من الفصيلة نفسها باستثناء جورج القادم من كوكب آخر. هاجمته بحدة: «لم أدعك للمجيء. أتذكر؟».

سأل بعبوس: «هل تريدينني أن أرحل؟».

هل تريد ذلك؟ أصيبت بصدمة قوية عندما اكتشفت أن آخر ما تريده في العالم هو رحيله. لذا، قالت له بصوت مرتعش رغم كل الجهود التي بذلتها لتتماسك:

ـ نعم هذا ما أريده بالضبط.

وفجأة، غدا العالم ساكناً. عندئذ، أخذها بين ذراعيه مصدراً آهة خافتة. عانقها حتى باتت ضعيفة. وبعد أن أسكت احتجاجاتها، استسلما لمشاعر حملتهما بعيداً عن هذا العالم، إلى عالم آخر لا يقطنه سواهما.

لكن صوت بيث الذي تناهى إلى مسمعيهما أعادهما إلى الواقع. طرفت روزالي بعينيها ثم حدّقت إليه بعينين كبيرتين لامعتين فيما رفع

رأسه هامساً بلطف:

ـ أنت لا تريدينني أن أرحل. قوليها.

بدت عيناه زرقاوين إلى حدّ آلمها النظر إليهما.

ـ قوليها روزي.

نظرت إليه وردّت: «لا أريدك أن ترحل».

ـ حسناً.

وعندما تعالى صوت بيث ثانية، نهض وساعدها على الوقوف قبل أن يمسك بالعكازين ليناولها إياهما.

ـ حسناً! لأنه لم يكن في نيتي الرحيل.

وابتسم لها ابتسامة عريضة، كاسراً السحر الذي أسرهما لأنهما مضطران للعودة إلى المنزل حيث سيدّعيان بأن العالم لم تتغير وجهته.

ـ سنستمتع برفقة بعضنا البعض لما تبقى من العطلة. اتفقنا؟ لن أطرح المزيد من الأسئلة ولن نخوض المزيد من النقاشات.

طرفت بعينيها مجدداً فهو يغير شخصيته بسهولة لدرجة أنها لا تستطيع مجاراته كما خطر لها بيأس.

واختفت ابتسامته كما لو أنه يقرأ أفكارها ثم قال بهدوء:

ـ لا تخافي، فنحن شخصان راشدان يتعرفان إلى بعضهما بشكل أفضل ونحن لا نؤذي أحداً. فما الضير في ذلك؟

ما من ضير عندما يصوغ الأمر بهذا الشكل. لكن أحد الراشدين هو كينغسلي وارد الأمر الذي سيغير شكل اللعبة وشروطها.

بدا صوته متعباً كما لو أنه تعب فجأة من الوضع: «أنا أتضوّر جوعاً. آمل أن تكون بيث طاهية جيدة».

ـ بل إنها طاهية لامعة.

كان هذا الحديث أكثر أماناً فأردفت:

ـ دفعها أولادها الثلاثة المتفوّقون وزوجها النابغة إلى أن تبرع في مجال كانت تملك الموهبة فيه، فوجباتها لا مثيل لها. حتى صديقك غلين

سيجد صعوبة في منافستها فهي طاهية ممتازة أيضاً.

ابتسم كينغسلي مجدداً ابتسامة شقية وقال بنعومة:

ـ أظنني سأستمتع بهذه العطلة من نواحٍ عدة بوجود الطعام والمرأة والغناء.

ـ من ذكر الأغاني والأجواء الحميمة؟

ـ ألا تقول الأغنية الطعام والنساء والغناء؟

كانت روزالي مقطوعة الأنفاس فتوقفت للحظة لتبعد شعرها عن وجهها فيما هما يسيران نحو المنزل.

راحت عيناه تحومان على وجهها الجميل الذي يحيط به شعر كستنائي لامع. ثم قال بصوت مبحوح:

ـ أنت لا ترين الأمور من منظاري.

كان الطعام بالجودة التي وعدت بها روزالي ودارت الأحاديث العامة حول المائدة، حتى أن جورج أطلق نكاتاً عدة وبدا مرحاً في صحبة كينغسلي.

بدأت روزالي تستمتع بوقتها، فلكينغسلي أسلوب خاص في التعامل مع الناس. هذا ما خطر لروزالي لدى وصول التحلية وبعد أن لاحظت سرور بيث بمديحه ما دفع بجورج إلى الخروج من عالمه وإسماع زوجته مجاملة نادرة... لكن مايلز كان قادراً دوماً على جذب الطيور من أعشاشها هو أيضاً.

تلك الفكرة شكلت صفعة لها وغضبت من نفسها لأنها سمحت لمايلز بأن يتسلل إلى أفكارها مرة أخرى.

لم تفكر فيه منذ مدة طويلة لكن يبدو أنه كان قابعاً في أفكارها أو أنه كان ثقلاً على كاهلها على حد قول كينغسلي.

هل كينغسلي كحبيبها السابق؟

راقبته عبر الطاولة فيما كان يستأثر باهتمام بيث وجورج بقصصه المسلية التي راح يقصها خلال الأمسية والتي غالباً ما كانت تصب ضد

مصلحته.

من المؤكد أن مايلز كان ليعجز عن السخرية من نفسه لكن خطر لها لاحقاً أن كينغسلي يدرك على الأرجح أن هذا الأسلوب هو وسيلة فعالة للتقرّب من الناس.

كان مايلز مديدَ القامة، أسمر، جذاباً ككينغسلي كما كان غنياً مثله. وقد امتلك فضلاً عن الثراء والسلطة تلك الميزة التي تشكّل جاذباً للنساء، على غرار كينغسلي.

كان مايلز شخصاً شريراً متطرفاً ومستبداً فظاً يخفي طباعه الحقيقية تحت ستار من الجاذبية والأسلوب الصبياني. بقي رجلاً مثالياً حتى تزوجا والتحقا بالجامعة، وكانت تعلم أن أصدقاءها كلهم يحسدونها. من كان ليصدّق أنه سيتحوّل خلف الأبواب المغلقة إلى سادي عنيف ولئيم عندما يلقى أيّ معارضة، وإلى شخص بربري متوحش لأسباب تافهة، كاحتراق قطعة الخبز عند تحميصها؟ لقد غدت الشقة التي استأجراها مكاناً للرعب ولم تعد تشعر بالأمان إلا عندما تكون في محاضراتها أو ضمن مجموعة من أصدقائها. لِمَ تمسكت به كل هذه الفترة؟ ربما لأنها كانت تؤمن بالزواج الأبدي حينها وقد سعت يائسة لإنجاح زواجها بعد ما حدث لوالديها. كلما ضربها، كانت تذكّر نفسها بأن عليها بذل مجهود أكبر لتصبح زوجة أفضل.

لا بدّ أن العيب فيها، أليس كذلك؟ فمايلز كان كاملاً بنظر الجميع. وعندما حلّت ليلة تخرّجهما...

ـ وما رأيك يا لي؟

استفاقت من رعبها لترى بيث على مائدة العشاء وثلاثة أزواج من العيون تنظر إليها.

جاهدت لكي تبتسم:

ـ آسفة، كنت أفكر بمشكلة مهنية.

ـ آمل ألا يكون مشروعي؟

بدا صوت كينغسلي بسيطاً ومتكاسلاً لكن عينيه الزرقاوين الثاقبتين أخبرتاها بأن تمويهها للواقع لم ينطلِ عليه.

ـ مشروعك يسير على خير ما يرام.

استدارت نحو بيث التي نطقت باسمها وقالت مجدداً: «عذراً، ماذا كنت تقولين؟».

استكمل الحوار بشكل طبيعي عند هذا الحد لكن روزالي لاحظت أن نظرة كينغسلي باتت غامضة عندما ينظر إليها رغم إلقائه النكات وتصنّعه الابتسام كالسابق.

لم يتناولوا القهوة قبل منتصف الليل. وكان الإرهاق قد بلغ منها حداً كبيراً جراء المشاعر المتناقضة التي عاشتها منذ دخول كينغسلي إلى مكتبها.

يخلد بيث وجورج إلى النوم عادة، في العاشرة ما إن ينهوا شرب القهوة. لكن بيث لم تبدِ رغبة في الانسحاب باكراً لحسن حظها.

ترافق الأربعة نحو السلالم الملتوية المؤدية إلى الطابق العلوي في الكوخ. وعندما بلغوا أعلى السلالم انصرف بيث وجورج إلى غرفتهما بعد إلقاء تحية المساء التقليدية عليهما، تاركين كينغسلي وروزالي وحيدين.

ـ عمت مساءً روزي.

وأخذها بين ذراعيه قبل أن تعترض فسرى الدفء في جسدها وتدفق الدم حاراً في عروقها.

كانت ساقاها ترتجفان بقوة عندما أبعدها عنه ثم نظر إليها بعينين جائعتين قائلاً بصوت أجش: «عرفت امرأة عندما كنت في العشرين وقد أحرقت أصابعي. منذ ذلك الحين، التزمت الحذر في مشاعري فما من وعود بحب إلى الأبد، وما من التزام. لكن طالما أن العلاقة قائمة فسأبقى مخلصاً وأتوقع من المرأة إخلاصاً متبادلاً. ستقوم العلاقة على الصراحة والوفاء من دون ندم أو ملامة. هذه الفلسفة ليست سيئة، أليس كذلك؟».

حدّقت إليه. ماذا يقول، أيريد إقامة علاقة معها؟ من دون قيود؟

وللوهلة الأولى، توقّف دماغها عن العمل ثم خرجت عن الموضوع حين سألته: «وهل النساء سعيدات بذلك؟».

ـ طبعاً.

بدا متفاجئاً لسؤالها وأضاف: «عندما توضع الأسس، تعترف غالبية النساء بأن الحب مفهوم ساذج لكنه لا يتماشى مع الواقع. فعاجلاً أم آجلاً، يظهر الشك وانعدام الثقة، وإذا ما اكتشفت يوماً أن شريكك يخونك..».

وهزّ كتفيه متابعاً: «إنها أمور تحصل دوماً والطلاق شاهد على ذلك. أما التناغم الجسدي فمختلف. فهو حقيقي وصادق على خلاف الاعتماد على شخص ما والوثوق به».

أخذت روزالي نفساً عميقاً وقالت بصوت خالٍ من التعبير: «إلام تلمح كينغسلي؟».

ـ أنت تريدينني روزي وأنا كذلك. فمنذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناي عليك وأنا أتحرّق شوقاً إليك. أنت وحيدة وأنا أيضاً وهذا أمر طبيعي.

لم تكن متأكدة مما شعرت به تحديداً إنما أدركت أنها تريد ضربه ولكنها لم تجد ذلك منصفاً نظراً لصراحته الشديدة معها. حاولت الإجابة بخفة وقالت بمرح:

ـ آسفة ولكنني لا أتورط في علاقات من هذا النوع.

ـ أدرك ذلك.

قربها منه وقد أمسكها بيديه وأضاف: «كما أحترم شعورك».

كانت تشعر بقوته وبدفئه اللذين سريا فيها ما جعل صوتها متقطعاً عندما قالت:

ـ ولكن؟ لا تقل لي بأنه ما من «لكن». لكن وضعنا سيكون مختلفاً... لكن بإمكاننا أن نسعد معاً... ولكن لا يشعر الناس غالباً بما نحسّ به... أليس كذلك؟

تقدم نحوها واحتضنها مجدداً. كانت تشعر بقلبه يتخبط بقوة بين

أضلعه فانتابتها لثوانٍ الرغبة في الاستسلام لهذه الدوامة من المشاعر التي أثارها فيها. لكن سرعان ما عادت إلى الواقع. فدفعته عنها وقد بدا صوتها مرتعشاً حين قالت: «لا أريد ذلك يا كينغسلي، دعني».

لقد عرف كينغسلي الكثير من النساء واعتقد أنه فهم جنس النساء جيداً لكن الخوف في صوت روزالي أدهشه.

توقف على الفور وتراجع خطوة لكنه أبقاها سجينة بين ذراعيه. قال بنعومة وقد بدا صوته عميقاً: «ما الذي فعله بك بحق السماء؟».

استقام في وقفته عند رؤية وجهها الشاحب، وأضاف: «حسناً، حسناً أعلم أنك لا تريدين الكلام عن ذلك».

ـ لا أستطيع. لا أستطيع الكلام عنه.

كان كلامها همساً. أما تعابير وجهه فبدت غامضة حين أعلن: «أنت لا تثقين بي كفاية».

قالت بصدق: «لا أعرفك».

ولكن جزءاً منها كان يشعر رغم ذلك بأنها عرفته طيلة حياتها فبدا لها الأمر مخيفاً لا بل مرعباً في الحقيقة. عقد حاجبيه فأدركت أنه يحلل ما قالته للتو. وبعد لحظة، أومأ موافقاً من دون أن يفصح عما يفكر فيه وقال:

ـ أستطيع قبول ذلك كما نستطيع إصلاح الوضع.

حدّقت إليه وسألت باستغراب: «وماذا تعني؟».

ابتسم وقد بدت عيناه الساحرتان بدفء زهور دوار الشمس المتألقة تحت وضح النهار ثم قال بصوت واقعي: «سنتواعد لفترة من دون ارتباط. يمكننا التمهل كما تشائين ولكنني سأكون قربك وأنتِ قربي أيضاً».

وظهرت لكنته أميركية بشكل قوي فجأة.

ـ لا أظن....

أصبحت عيناه الزرقاوان كالمياه الباردة حين أردف:

ـ إنه ليس اقتراحاً روزي. فإما أن تقبلي بهذا وإما أعانقك إلى أن تستسلمي. أستطيع فعل ذلك من دون أن تبدي معارضة قوية إذا صممت

على ذلك.

يا له من معتد بنفسه! غضبت من الصورة التي كوّنها عنها فيما دفعها صدقها الفطري إلى الإقرار بأنه غلبها في هذه النقطة. فهي ليست واثقة تماماً من قدرتها على مقاومته لتردّ على تحدّيه. لذا، اكتفت بإلقاء نظرة عليه قبل أن تقول: «وهذه المواعيد؟ جل ما ستحصل عليه هو عناق بسيط في المساء، لذا فإذا كنت تفكر...».

- قلت إنه يمكننا أن نتروى بقدر ما تشائين.

كان يقف وقد باعد ساقيه قليلاً وعقد ذراعيه القويتين فوق صدره فبدا ضخماً وصلباً ومثيراً في آن واحد ما جعل فمها يجف.

وأضاف بجفاف: «أستطيع مواعدة امرأة من دون أن تدفع الثمن في آخر الموعد بخلاف ما تعتقدينه».

لا شك في ذلك، فمن واعدهن يسعين دوماً إلى اغرائه! تنحنحت. فمن العدل أن تكون صريحة معه، فتضعه في الصورة. قالت بضعف وقد ثبتت نظرها على السجادة لأنها تستطيع الكلام بسهولة أكبر على هذا النحو:

- إسمع، منذ... رحيل مايلز، لم أواعد أحداً. ولا أريد التورط في علاقة أخرى، أبداً. فلدي عملي ومنزلي و...

فقاطعها بنعومة:

- ويسعدك تماماً قضاء ما تبقى من حياتك من دون تعقيدات، من دون لحظات سعيدة وأخرى حزينة... مجرد مياه راكدة... لا أظن ذلك روزي.

هاجمته بتحدٍ وقد صوّبت عينيها إلى عينيه العابثتين:

- وأنّى لك أن تعرف؟ فأنت لا تعرفني.

تأمل وجهها وقد بدا الإرتباك ظاهراً في عينيها القاتمتين، رغم جهودها لإخفائه.

- يبدو أننا ندور في حلقة مفرغة وأعتقد أن كل جدل سيعود إلى النقطة

نفسها لذا دعينا نتواعد من دون نقاش أو جدال. فما رأيك؟

واستدار باحثاً عن مقبض الباب وفتحه من دون أن يضيف كلمة أخرى ثم دخل الغرفة وأقفل الباب خلفه بهدوء.

لم يسعها تصديق ذلك! وقفت روزالي لدقائق على الأرض الصلبة كما لو أنها تنتظر إجابة على تشوّشها. إن كينغسلي رجل بكل ما للكلمة من معنى، عدائي، قوي ومتملك يتمتع بجاذبية خارقة ورائعة.

إنه آخر رجل تفكر في مواعدته على سطح الأرض. إذن فكيف وصلت إلى هذا الوضع؟

هزت رأسها وراحت تستعيد حديثهما لترى أين أفلت الوضع من يدها.

تباً له! حدّقت للمرة الأخيرة إلى بابه المقفل متمنية لو تخترق الخشب الذي يختفي خلفه، ثم هزت كتفيها بلا مبالاة. تستطيع أن ترفض المواعيد كلها أو بعضها ما إن تنتهي هذه العطلة المجنونة على خير. ستكبحه برفضها.

كانت راحتها مؤقتة ربما لأنها لم تقتنع بما قالته. ففكرة مواعدته والتهرب منه لن تنجح أبداً لكنها ستتكيّف مع الوضع مهما كان. عندئذ، أرخت كتفيها ودخلت غرفتها مصممة على تجاهل وجود كينغسلي في الغرفة المجاورة. كفى!! طردت صورته من ذهنها قبل أن تسيطر عليها.

أجل، تستطيع التعامل معه فلقد تخطت مايلز ستيوارث، أليس كذلك؟ لم تتخطاه وحسب بل أكملت حياتها وشكّلتها على هواها. لذا تستطيع التعامل مع كينغسلي أيضاً. لم تعد فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، عصبية وبسيطة، يخدعها بسهولة الشاب الأكثر وسامة الذي عبّر لها عن حبه ورغبته في الاهتمام بها.

الإهتمام!! انهارت على السرير تاركة العكازين على الأرض. لقد اهتم بها مايلز لدرجة أنه أوصلها إلى شفير الانهيار العصبي. تباً له!

غير أن كينغسلي كان محقاً في أمر واحد وهو أن مايلز غدا من

الماضي. وشعرت بتقلّص في معدتها مع عودة الذكريات المريرة إليها. ولكن، إذا ظن كينغسلي أنه سيقيم معها علاقة لمجرد أنه وقّع اتفاقاً مهنياً معها فهو مخطىء.

ضاقت عيناها ونظرت إلى الأمام من دون أن ترى. يا إلهي، هل أخطأ يوماً؟...

* * *

٦ ـ افتحي قلبك

في اليوم التالي، أفاقت روزالي في السابعة صباحاً على صيحة بيث. فقد اتصل عميد الجامعة التي يدرس فيها ولدها الأصغر ليعلمها أن أحد الطلبة في المبنى الذي يدرس فيه جيف مصاب بالسحايا وقد تم عزله في مستشفى محلي وأخضع الطلبة الباقون لعلاج بالمضادات الحيوية كنوع من الوقاية غير أن علامات المرض ظهرت على ثلاثة منهم ومن ضمنهم جيف. لم يكن ثمة داع للرعب إذ طمأن العميد بيث، لكنه أبلغها أنهم نقلوا إلى المستشفى لإجراء بعض الفحوصات وذلك حرصاً على سلامتهم.

بدت بيث في حالٍ هستيرية عندما قالت:

ـ سنذهب رأساً إلى كمبردج. هل ستكونان أنت وكينغسلي بخير؟ الثلاجة محشوة بالطعام، ولكن هل يمكنك إطعام القطط في السادسة مساءً؟ إنها تحب التونا بزيت دوار الشمس والحليب الدسم كما تتناول أيضاً السلطة الصينية. قد تأتي بعد قليل لشرب الحليب.

ـ ستكون بخير وسنهتم بها.

فكرت روزالي بأن بيث هي الوحيدة التي تقلق على الهررة أكثر من ضيوفها في وقت كهذا. فبيث تقلق بالدرجة الأولى على من يحتاج إلى عناية ولا يقدر على الاهتمام بنفسه وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت روزالي تحبهما كثيراً.

ـ سننزل الليلة في فندق ما حتى نرى ما ستؤول إليه الأمور غداً ولكنني سأتصل بك.

ثم حدّقت بيث إليها بعينين حزينتين وأضافت:

ـ لي أنا قلقة جداً.

ـ سيكون جيف بخير، أنا واثقة من ذلك. إذهبا وسأهتم أنا وكينغسلي بالأمور هنا.

حاولت روزالي التحلي بالشجاعة بعد رحيل بيث وكانت تشق طريقها إلى المطبخ لإعداد فنجان من الشاي عندما أحسّت بوجود أحد ما وراءها. استدارت بسرعة وكادت تفقد توازنها إذ انزلقت رجلها المصابة قليلاً على أرضية المطبخ. ابتسم لها كينغسلي الذي وقف على عتبة الباب ثم حياها: «مرحباً!».

ـ أهلاً.

أدركت فجأة أنها لم تسرّح شعرها إذ كانت مشغولة برحيل خالتها، كما أن قميص النوم الذي ترتديه لم يكن أفضل ما لديها. أما كينغسلي فقد استحم بدليل أن شعره ما زال رطباً لكنه لم يحلق ذقنه بعد. بدا جذاباً للغاية.

كانت بيجامته الزرقاء تظهر بوضوح تفاصيل جسده الصلب كلها. إنه رجل منسجم مع ذاته ينضح رجولة ما جعل حلق روزالي يجف ويديها تتعرقان.

ـ شاي؟

بدا صوتها رفيعاً وتنبهت لذلك بغضب.

ـ قهوة إذا أمكن.

بالطبع، كان عليها أن تدرك ذلك.

وتقدم على الفور لمساعدتها في تحضير القهوة، فيما هو يتكلم، ما أثار حواسها على الفور:

ـ لن يكون مزاجي معكراً إذا ما شربت القهوة ساخنة وقوية في بداية النهار.

لم يكن مطبخ بيث صغيراً في الواقع بل هو من النوع الريفي المصنوع

من خشب السنديان الذي قد توازي مساحته مساحة شقة في لندن لكن بدا وكأن حجمه قد تقلص.

شرحت له باقتضاب سبب رحيل بيث وجورج المفاجىء وهي تفتح إحدى النوافذ الكبيرة لتسمح للقطط بالدخول. راحت القطط تتمطى على عتبة النافذة قبل أن تقفز لتستقر على الأرض وقد بدا أن تصرفها كان تقليدياً تقوم به كل يوم وبدأت تموء بصوت عالٍ وهي تحوم حول كينغسلي.

كان الهواء الذي لف الغرفة نقياً منعشاً والشمس دافئة وقد طغت أصوات العصافير المغردة على الأشجار من حولهما على صوت صفير الإبريق.

أشارت إلى القطط التي استمرت في الدوران حوله حتى بعد أن جلس على طرف طاولة مستطيلة عتيقة:

ـ لقد أحبتك مع أنها لا تصادق أحداً عادة.

كانت ساقاه الطويلتان تلامسان الأرض. اقترح بنبرة ساخرة: «ربما يمكنك التمثل بها».

وعندما انزلقت رجلها ثانية، أردف بحزم: «اجلسي، سأقوم بذلك».

جلست لأن رجولته الطاغية كانت مصدر إرباك لها في هذا الوقت الباكر حيث لم يتسنَ لها الوقت لتعدّ دفاعاتها.

وضع كوباً من الشاي أمامها وهو يتكلم ويتصرف بشكل طبيعي رغم قامته الطويلة وملامحه الحادة التي لم تكن تتناسب مع المهمة التي يقوم بها بكل سهولة:

ـ توست؟ حبوب؟ أم تريدين البيض المقلي على طريقة وارد؟

حدّقت إليه مرتابة: وما هي هذه الطريقة؟».

ـ لا شيء أشهى من قلي البيض المخفوق مع الزبدة والبصل على أنْ يقدّم على خبز التوست مع شرائح من اللحم المقدد. إنه لذيذ حتى ولو كنت أنا من يقول ذلك!

ـ أتطهو؟

كادت تضيف أيضاً؟ لكنها ردعت نفسها في الوقت المناسب فغروره عظيم وهي لم تشأ تعزيزه إذ لا بد أن الكثيرات قمن بهذه المهمة.

عبس في وجهها قائلاً: «بالطبع... إذا أردت البيض على طريقة «وارد»».

خمنت بجفاف: «للفطور، والعشاء وللعصر؟».

ـ أصبتِ.

ضحكت عيناه الزرقاوان فشاركتهما الضحك.

النجدة! لِمَ عليه أن يكون شديد الجاذبية؟ ما زال النهار في بدايته وهو في قمة تألقه فيما تبدو هي بحالٍ مزرية. ربما سيتخلى الآن عن فكرة خروجهما معاً بعد أن رآها في قمة تألقها الصباحي! ومن المضحك أن الفكرة لم تجعلها تشعر بالراحة.

مع ذلك، بدا أنّ كينغسلي لا يفكر مثلها إذ رفع خصلة من الشعر عن وجهها ومررها بين أصابعه فيما قال بشرود:

ـ حرير طبيعي يضج بألوان جميلة عندما يتعرض للشمس. من أين حصلت على هذا اللون؟

ـ من والدي. هو أيضاً عيناه رماديتان.

كان صوتها مخنوقاً خلافاً للسابق لكنه لم يعلّق على ذلك بل وضع يده على بشرتها الناعمة قبل أن يستدير بحدة معلناً: «سأعد أربع بيضات لي. كم واحدة تبغين؟».

ـ إثنتان فقط.

راقبته وهو يبحث عن البصل ويقطعه بمهارة بعد أن غسله وجففه. بعدئذ، غمسه في الزبدة ووضعه في المقلاة وقال:

ـ سأهتم بالتوست فيما يحمرّ المزيج.

استدار فيما كان يتكلم وابتسم لها فأدركت أن أنفاسها تسارعت. الوضع رائع، ممتع للغاية! لقد نسيت أمر الطعام إذ يمكنها أن تقنات من مجرد النظر إليه وهو يتحرك برشاقة النمر. كان ساحراً...

قالت بجفاف محاولة إخفاء ارتعاشها بصعوبة تحت قناع بارد:

ـ بما أنك مسؤول عن الطعام فالهرتان تريدان الفطور.

قال متكاسلاً: «بالطبع. هل هما من الذكور أم الإناث؟».

ـ أعتقد أن اسميّ ميغ وبولي يطلقان على الإناث.

ـ إذن، أدرك مرادهما.

توجه نحو الثلاجة الكبيرة وغاص فيها ليخرج علبة كرتون تحوي الكريما. صب منها القليل في صحن دائري قبل أن تذكر له شيئاً عن السلصة الصينية، لكن القطتين تناولتا الكريما، كما لاحظت بعجز.

قال متوجهاً نحو المقلاة ليحرّك محتواها بملعقة خشبية:

ـ لا أعرف أنثى في العالم قادرة على مقاومة الكريما.

أردفت بحلاوة: «وأنت طبعاً تعرف غالبيتهن».

ـ مياو!

نظر إليها للحظة وعيناه تلمعان: «ميغ وبولي خجلتان من تصرفك».

مدّت له لسانها فعبس ثانية وهو يضيف البيض المخفوق إلى البصل في المقلاة ثم راح يدهن التوست بالزبدة ويقطع شرائح اللحم التي وجدها في الثلاجة.

ـ لذيذ!

تناول قطعة لحم ووضعها في فمه ثم قال: «لقد غلفته بيث بالسكر الأسمر وبشيء من الخردل. قد اعتاد العيش هنا إذا أتيحت لي الفرصة».

ارتشفت جرعة كبيرة من الشاي. لقد بدا لها فاتناً كرجل أعمال ومقاول كما أن الجانب الذي اكتشفته فيه مساء أمس فاجأها. لكن كينغسلي الذي رأته هذا الصباح وهو يرتدي البيجاما كان استجابة لصلوات كل سيدة. وتساءلت مقطوعة الأنفاس كيف يمكن لأحد ما أن يطهو بهذه الطريقة المغرية؟ فهو يستطيع التفوق على الطهاة العاملين في التلفزيون كلهم.

وعندما وضع طبقاً ساخناً أمامها مع كوب من عصير الليمون المثلج،

كانت قد بذلت الكثير من الطاقة العصبية لذا شعرت أنها تتضور جوعاً.

ـ هذا رائع!

حمل صوتها نبرة دهشة فرد بجفاف: «شكراً».

ـ لا، أعني....

وتوقفت فجأة عن الكلام فقال وقد بدا صوته سطحياً فأيقنت أنه يحاول إخفاء نبرة التسلية فيه:

ـ لا تحاولي التوضيح فسيجعلك ذلك تبدين من النساء اللواتي يعتقدن أن الجنس اللطيف وحده قادر على الطهو والترتيب و...

رمته بفوطة فأصابته في وجهه تماماً.

وضعها بحذر قربه واستكمل حديثه من دون توقف: «أو لعلك تشعرين بالغيرة من خبرتي».

ونظر إليها متأملاً: «أرجحَ الاحتمال الثاني».

ـ بل تتمنى.

ـ نعم روزي أتمنى أمور عدة قد تجعل شعرك يتجعّد.

تلك الحرارة المنبعثة من عينيه عكست أمنياته فتشبثت بكوب العصير وابتلعت منه بصعوبة. عندما أرغمت نفسها على النظر إليه ثانية، كان يتناول طعامه بهدوء لكن التواء فمه الحازم دل على أنه استمتع بكل لحظة من هذا النقاش.

للمرة الأولى منذ سنوات وجدت روزالي نفسها تحظى بالعناية. أمضيا الصباح بالتكاسل في الحديقة يطالعان الصحف وقد حرص كينغسلي على تحضير القهوة مع الكريما المخفوقة والبسكويت فيما جلست هي على كرسي بيث الهزاز. عند الغداء، أقلها كينغسلي إلى مقهى قرب البحيرة حيث جلسا تحت مظلة كبيرة حمراء وزرقاء يشربان عصيراً بارداً ويأكلان الدجاج فيما يستمتعان بمشاهدة زوج من البجع يعلم صغاره العوم والتنقل في المياه.

اتصلت روزالي ببيث على هاتفها الخلوي ثلاث مرات في الصباح.

وقبل خروجهما للغداء، اتصلت خالتها لإعلامها بأن جيف يعاني من انفلونزا حادة ليس إلا.

أعلنت بيث قلقة: «أريد قضاء الليل هنا إذا كنت لا تمانعين؟ أريد البقاء معه قليلاً بعد هذه الحادثة. هل تستطيعان أنت وكينغسلي تدبر أمركما؟ ثمة شرائح لحمة في الثلاجة أعددتها لليلة إضافة إلى السلطة والبطاطا والحلوى. لا تتركا نفسيكما من دون طعام. اتفقنا؟؟».

ما من سبيل إلى ذلك... فعند قيامهما بنزهة في السيارة بعد الظهر، توقف كينغسلي عند فندق يقدّم البسكويت المحضّر في المنزل والمربى والحلوى بالقشدة والشاي. وكسب كينغسلي محبة المالكة حين طلب المزيد من الحلوى. وقبل رحيلهما، كانت العجوز قد أطلعتهما على قصة حياتها بما في ذلك تاريخ إنشاء الفندق الذي زاره جنرال كبير.

تلك العجوز صاحبة الوجنتين المتوردتين والعينين اللامعتين أسرّت لكينغسلي: «كان ذاك الجنرال يتكلم مثلك تماماً وبفضل لكنته وسحره، لم تستطع أي سيدة مقاومته. أكد لي الجميع بالطبع استحالة العلاقة بيننا غير أنني أحببته وهو أيضاً. لكنه قتل قبل أسبوع على انتهاء الحرب».

حارت روزالي أتضحك أم تبكي فالعجوز كانت ممثلة بالفطرة. كانت تقص عليهما الحكاية تلو الأخرى غير أن عينيها كانتا تلمعان عند ذكر المدعو هانك فانفطر قلب روزاليّ من الألم. ولم تتغلب على شعورها حتى عندما أمسكت العجوز بذراعها قبل رحيلهما وهمست لها: «لا تدعيه يفلت منك يا عزيزتي مهما كانت الظروف، فستندمين طيلة حياتك، أعلم ذلك. أجل...».

ـ ماذا قالت لك؟

كان كينغسلي ينتظرها فاتحاً لها الباب. وفيما كانت روزالي تتكىء على عكازيها لتسير في الطريق الضيقة، ردت بهدوء:

ـ لا شيء. قالت فقط إنها مشتاقة فعلاً لهانك.

هز رأسه وأعلن: «إنها مأساة حقيقية رغم مرور سنوات طويلة».

ـ نعم، إنها كذلك.

حدجته بنظرة فيما كان يسير قربها بجاذبيته الطاغية التي جعلت رأسها يدور. كانت رائحته عطرة. إنه عطر ما بعد الحلاقة بشذا الليمون، وأدركت فجأة أنها ستتذكر تلك اللحظة دائماً: الشمس المشرقة وذلك الرجل قربها وتلك العطور والألوان... لن تنساها أبداً طيلة حياتها. هذه الأفكار جعلتها تشعر بألم حاد. لقد باتت متورطة بعمق في هذه المسألة. تملكها الرعب فسرّع نبضات قلبها. هذا الإحساس بالانجذاب إلى هالته وهذا الشعور بالأمان من عواصف الحياة مجرد سراب.

فهو يريدها الآن لذا يفرش لها الأرض حرير، لكن هذا كله يمكن أن يتغيّر مع هبوب الريح.

فتح لها باب السيارة وتناول العكازين فيما أخفضت قامتها لتجلس في مقعدها. وضع العكازين في المقعد الخلفي ثم استدار ليحتل مقعد السائق. راقبته فيما راحت كلمات العجوز تطن في أذنيها. لكن المرأة لم تكن تعلم أنهما مجرد عابري سبيل يمضيان الأمسية معاً وأن كينغسلي لا يرغب في تغيير الوضع وهي أيضاً. إنها لا ترغب في ذلك، هذا ما أكدته لنفسها بقوة عندما انتفض قلبها، فهو يرغب بعلاقة عابرة وهي لا تريد ذلك.

عادا أدراجهما ولاحظ كينغسلي أن القطتين تتضوران جوعاً وكأن أحداً لم يطعمهما منذ سنوات. راحتا تهزان بذيليهما تعبيراً عن احتجاجهما على تأخرهما، فالساعة الثامنة مساءً ليست مناسبة لتناول العشاء برأيهما.

سألته روزالي عندما وافته إلى المطبخ بعد تفحص المجيب الآلي:

ـ ستيك، سلطة وبطاطا، هل يناسبك الأمر؟ لقد تركت لنا بيث مخزوناً كافياً.

ـ يبدو الأمر رائعاً.

ـ يمكنك إعداد المائدة إذا شئت فيما أنهي تجهيز الطعام.

كانت غرفة الطعام أكثر رسمية من طاولة المطبخ التي تناولا عليها الفطور متقاربين لدرجة أن كتفه كان يلامس كتفها في أغلب الأحيان، كما كانت بحاجة إلى ترك مسافة بينهما، فكرياً وجغرافياً على حدّ سواء. قد تكون ضعيفة ومثيرة للشفقة ولكن هذا ما تشعر به.

اقترح كينغسلي بكسل: «إنها أمسية جميلة فلما لا نتناول العشاء خارجاً؟ يجب أن نستفيد من الصيف إلى أقصى حدّ».

ـ إذا شئت.

كانت طاولة بيث الخشبية، الموضوعة على الشرفة، ضخمة وتحيط بها ثمانية كراسي تحسباً لزواج أولاد بيث لكنها على الأقل أقل حميمية من المطبخ.

صممت روزالي على أن تجعل هذه الوجبة الكاملة جيدة قدر استطاعتها فبعد تتبيل شرائح اللحم، وضعتها على حرارة منخفضة جداً. وفيما كانت تقلي البطاطا، باشرت بإعداد السلطة.

إن مهارة بيث كطاهية ممتازة جعلتها تخزّن كافة المقادير التي قد تخطر في البال، فضلاً عن الكثير من الخضار الطازجة والفواكه من بندورة، وأفوكادو، سبانخ، تفاح، وكرّاث.

كانت روزالي تفرم الخضار وتحضّر الصلصة المكونة من الخردل، والليمون، والنعنع، والفلفل الأسود وعصير البرتقال وملعقة من السكر الأسمر وهي إحدى وصفات خالتها، عندما ظهر كينغسلي فغمس إصبعه في الخليط ولعقه. حدّق إليها بشقاوة:

ـ رائع... كما أن الصلصة لذيذة.

لم يسعها إلا الابتسام مع أنها قالت له محذرة: «ممنوع التذوّق حتى أسمح بذلك».

ـ وعود، وعود...

أزاح برفق خصلة من الشعر عن وجهها فسرت الحرارة في أوصالها. حينها سألته:

ـ هل يمكنك مراقبة شرائح اللحم؟

بدا صوتها متهدجاً فشعرت باليأس عند سماعه، وفكرت بأن عليها وضع حد لذلك. لكنها كتلة من التناقضات حين يتعلق الأمر بكينغسلي، هذا ما أقرّت به روزالي بصمت. فجزء منها تمنى لو أنها لم تلتقه فيما راح الجزء الآخر يتساءل كيف استطاعت الاستمرار طويلاً من دون وجوده في حياتها. وهذا الأمر خطير.

خفقت الزبدة بقوة لكنها ما لبثت أن تنبهت إلى أن كينغسلي ينظر إليها بتأمل وسألها: «هل هذا أفضل؟».

كررت قوله بحذر وقد توهجت وجنتاها وشعرت بإحراج كبير من نفسها ومن كينغسلي.

سألها بنبرة جادة: «بما أنك أخرجت شيئاً مما تكبتينه فهل تشعرين بارتياح أكبر؟».

حدّقت إليه قائلة: «وما أخبار اللحمة؟».

ـ جيدة لا تطلب إلا من يأكلها.

وتقدم منها مضيفاً: «لِمَ لا تتصرفين كفتاة طيبة وتجلسين فيما أحمل كل شيء إلى الطاولة؟».

وركز بصره عليها فتمتمت: «علي تحضير البطاطا و...».

ـ أنا أكثر من مؤهل للقيام بذلك فلقد أنهيت العمل الشاق وحان دوري الآن.

ناولها كأسها وتناول وعاء السلطة وصحن الصلصة الصغير:

ـ حاولي أن تصلي سليمة معافاة إلى الطاولة من دون أن توقعي الكأس، اتفقنا؟ بصحتك يا امرأة.

عجزت فعلاً عن القيام بأي شيء آخر. وعندما نجحت في بلوغ غرفة الجلوس التي تقود إلى الشرفة كان كينغسلي عائداً إلى المطبخ فابتسم لها بمزيج من المرح والرقة عند مروره بها.

كانت سعيدة لعدم وجوده معها عندما بلغت الشرفة إذ تأوهت بصوت

عالٍ. فقد جهز زاوية من الطاولة بطريقة حميمة تناسب شخصين فوضع شمعتين في شمعدان من الكريستال على شكل نجمة وإناء ورود عطرة في الوسط. كما وضع مفرشاً صغيراً واستعمل الصحون الصينية الباهظة الثمن وأدوات الطعام الفضية.

أضافت السماء لمستها الساحرة على المشهد بلونها الأزرق المغبر الذي يخالطه اللونان البنفسجي والذهبي. أما شذا أزهار المنثور والياسمين والرياحين ففاح في المكان ليتلاعب بالحواس.

وقفت تحدق إلى المنظر لدقائق ثم نظرت إلى الطاولة الدافئة والعابقة بشذا الزهور لتتخذ مكانها بعدئذ على المقعد. ظهر كينغسلي بعد قليل حاملاً البطاطا والعصير ونظر إليها بعينين نصف مغمضتين. ثم عاد إلى المطبخ لإحضار طبق اللحم من دون أن يوجّه إليها الكلام. وعندما عاد للجلوس قربها، قالت:

ـ نخب الفندق الجديد واستمرار نجاح مؤسسات وارد.

لاح طيف ابتسامة على فمه فيما رفع كأسه:

ـ نخب أجمل مشرفة تنفيذية رأيتها في حياتي ونخب لقائنا معاً.

لاحظ الانكماش في نظرتها عقب كلامه إلا أنه لم يعلّق وأبقى صوته رقيقاً وهو يقول:

ـ دعيني أخدمك.

عندئذ، حوّل نظره عنها وامتدت يده نحو طبق البطاطا وأمسكه ليسكب.

تكلما في أمور مختلفة أثناء تناولهما العشاء وما هي إلا دقائق حتى انسجمت روزالي معه وتحسّن مزاجها.

سعى لإضحاكها وقد نجح في خلق جو مرح وكسول عززه مشهد الحديقة الغارقة في سبات عميق في ليلة مخملية هادئة. أطل القمر فبدت السماء سجادة قاتمة مرصعة بأضواء متلألئة صغيرة فيما ذاب ما تبقى من العالم خارج سور الحديقة.

وبعد العشاء، غسل كينغسلي الأطباق وعاد حاملاً مجموعة من الأجبان والخبز وطبق من العنب الأبيض والأحمر لأنهما أقرا بأنه لم يعد بوسعهما تناول الحلوى التي حضّرتها بيث.

ناولها فنجاناً من القهوة تطفو على سطحه القشدة المخفوقة السميكة كالقهوة التي أعدها في الصباح الباكر لكنها أحست هذه المرة نكهة الليمون مع التوابل المعطرة. همست روزالي فيما كان يجلس قربها وقد أفرد ذراعاً على ظهر كرسيها: «لذيذ! أين تعلمت تحضير القهوة على هذا النحو؟».

هز كتفيه بلا مبالاة: «لا أذكر».

حدّقت إليه إذ أنبأها شيء ما في صوته أنه يكذب عليها، فهو يتذكر دوماً كل شيء.

استقامت روزالي في كرسيها وقالت: «كانت هي، أليس كذلك؟ المرأة التي ذكرتها مساء أمس، تلك التي تسببت بحرق أصابعك؟».

لم يحاول المراوغة بل قال: «نعم، هي».

سألت بهدوء: «ولمَ لم تقل ذلك؟».

ردّ بحزم: «لأنني أعتقد أن ذكر امرأة أخرى لن يضيف شيئاً إلى الأمسية».

ـ وهل يزعجك الكلام عنها؟

رفع يده من وراء ظهرها واستوى في كرسيه عاقداً ذراعيه فيما راح ينظر إليها متسائلاً. تأملها بهدوء ثم هزّ برأسه: «الجواب هو لا، ليس الآن».

أدركت أنه لم يكن من العدل أن تسأله لأنها ليست مستعدة لمعاملته بالمثل والتحدّث عن مايلز لكنها لم تستطع السكوت فسألت بهدوء: «وماذا حصل؟».

ـ كانت ماريا إيطالية تعمل في أحد فنادق والدي. أحببنا بعضنا البعض أو هذا ما ظننته لكنني لم أكن أعلم أنني رقم ضمن مجموعة. كانت تحب الأشياء الجميلة... فلقد نشأت في بيئة فقيرة في نابولي

وأدركت أن فتاة بجمالها تستطيع جمع المال بسرعة بالطريقة القديمة قدم التاريخ.

وصمت للحظة ثم سألها بنعومة: «ماذا! هل صُدمتِ؟».

كذبت بسرعة: «بالطبع، لا. لست مصدومة».

ـ أما أنا فصُدمت.

قالت بحذر: «إذن... فقد انفصلت عنها؟».

ـ ليس بالضبط.

ارتشف من فنجان قهوته موضحاً: «اكتشفت كل شيء عن الرجال الآخرين في حياتها عندما هربت مع ثري من أثرياء النفط، نسيت أن تذكره لي عندما ارتبطنا ببعضنا. يبدو أنها اعتبرته صيداً أفضل من ابن مالك الفندق. أنا لا أتذمر إذ شكل الأمر حافزاً لي لتولي الأعمال والعمل على ازدهارها، كما لقنني درساً قيّماً لن أنساه أبداً وهو أن المرأة تبرع في الكذب عندما تكون في الفراش».

طرفت بعينيها: «لكن بعضهن لا يكذب أبداً».

ابتسم ببرود: «قلت لك إن ذكر امرأة أخرى لن يضيف جديداً إلى الأمسية».

ردت بحرارة: «أنا لا أعني ذكرها، بل كلامك الأخير لأنك تدرج النساء كلهن في خانة واحدة».

وافق بنعومة: «وهذا ما تفعلينه مع الرجال، أليس كذلك؟».

حدّقت إليه وقد ارتسمت الصدمة على وجهها لا سيّما في عينيها الرماديتين اللتين استحالتا بحسب كينغسلي إلى مدخنة كبيرة.

لم تحاول إنكار الواقع أو تقديم أعذار لكنها شوشت عقله إذ قالت بصوت مرتجف:

ـ أنت محق وأعتقد أنني مذنبة بالجرم نفسه لكن لدي أسبابي.

هذه ليست نهاية الأمسية التي توقّعها. تباً! كما لم تكن الطريقة المثلى لاختراق دفاعاتها فهو لم يشأ أن يشعرها بالسوء. طأطأ رأسه إذ لم يعد

بوسعه القيام بشيء آخر، وقال ببساطة:

ـ أنا واثق من ذلك.

لِمَ تهتم برأيه؟ جلست روزالي بلا حراك ورأسها مشوش ثم فوجئت بنفسها تقول:

ـ لم تمت والدتي ميتة طبيعية.

ونظرت إليه لترى رد فعله.

والدتها؟ وما شأن والدتها بأي من هذا؟ كانا يتكلمان عن المدعو مايلز. أليس كذلك؟

ـ أنا لا أفهم.

ـ والدي... هو من...

احتارت كيف تقول الحقيقة إذ لم يسبق لها أبداً أن أقرّت بها.

لكنها وجدت نفسها تخبره الحقيقة الكاملة عن تلك الليلة التي غيّرت مسار حياتها إلى الأبد. أخبرته كيف قبعت على السلالم في العتمة لا تجرؤ على الحراك لكنها كانت تدرك أن أمراً رهيباً حصل. أخبرته عن مرضها الشديد وعن موجات الرعب والهستيرية والغثيان التي راحت تصيبها لاحقاً والتي لم تتعافَ منها بعد.

عندما أنهت كلامها، نظرت إلى وجه كينغسلي فلاحظت الرعب المرتسم عليه. فكرت بيأس بأنه لم يكن عليها إطلاعه على الحقيقة إذ بدا مشمئزاً.

ـ تباً!

قالها بصوت عميق ثم مد يده واحتضنها بين ذراعيه ممسكاً إياها بحزم وهو يضيف:

ـ لا أعلم ما أقول روزي.

كانت نبرة صوته مواسية فاستكانت بين ذراعيه. لم يكن مشمئزاً منها كما اعتقدت، واكتفت بهذا التحليل. بقي يحتضنها لبعض الوقت ثم أرجع رأسها بيده ليجعلها تنظر إليه وقال بصدق ونعومة: «أنا آسف جداً إذ

لا يفترض بالأطفال أن يمروا بمحن مشابهة».

ازدردت بريقها بصعوبة إذ فاقَ الأمر الحد، وتسارعت الأمور. لقد أعطت الكثير من ذاتها. ما تشعر به بان على وجهها لأنه أجلسها على كرسيها بنعومة ثم قال بهدوء: «بردت قهوتك لذا سأعد لك فنجاناً آخر. لن يستغرق ذلك دقيقة».

لاحقته بنظراتها وهو ينصرف وأحست برجفة رغم دفء الجو والحرارة المنبعثة من الحجارة.

كان كينغسلي الرجل الأكثر إثارة الذي قابلته في حياتها، والأكثر جاذبية ومرحاً. تستطيع تعداد صفاته بإسهاب لكنه أيضاً من أخطر الرجال فهو يرغب في علاقة عابرة قصيرة ولقد أعلن ذلك قاطعاً الشك باليقين. إنه يريد مواعدتها كما أخبرها. ولكن ماذا عنها؟ وعما تريده هي؟

أرجعت شعرها إلى الوراء بيأس. حسناً، إنها تريده. وهذا دليل على مدى جنونها ومدى غبائها إذا ما تورطت معه أكثر.

لقد أخبرته سراً لم تطلع عليه أحداً من قبل حتى مايلز. لم يسبق لعائلتها أن ناقشت مسألة موت أمها وانتحار أبيها بعد ما شرحوا لها وهي طفلة ما عليها أن تقوله للناس عن والديها. كان الأمر سراً غامضاً ومخزياً يجب إخفاؤه بأي ثمن لهذا كانوا جميعاً يشعرون بالإحراج بسببه. لعل الأمر لم يكن متعمداً لكنها نشأت على هذا فتعززَ لديها الشعور بأن الذنب ذنبها في ما حصل. فلو لم تكن موجودة، لو لم تولد، لحظي والدها باهتمام أمها وحده ولكانت حية ترزق اليوم.

عضّت على شفتها بقوة وأغمضت عينيها للحظة. لقد أشار العقل والمنطق إلى تفاهة تفكيرها وإلى أنّ والدها كان ليجد سبباً آخر ليغار، لكن المنطق والعقل لا ينفعان دائماً في مسائل القلب.

أما الآن وقد أقرّت أخيراً بما حدث في الليلة التي توفيت فيها والدتها وبالسبب الذي دفع والدها إلى إنهاء حياته، شعرت بأمسّ الحاجة إلى التحدّث مع بيث عن علاقة والديها ببعضهما. لطالما كان هذا الموضوع

يثير عواطف جديها وانفعالاتهما.

كانت تعلم أنهما يحبانها، لكن حتى يوم وفاة جدتها منذ سبع سنوات ورحيل جدها منذ خمس سنوات كان موضوع ذويها كتاباً مقفلاً يحرم فتحه.

افترضت بأنها كانت مجرد انسانة خانعة بالنسبة لشخص يحب السيطرة والتحكّم كمايلز. كانت تشك بذاتها والشعور بالذنب يتملكها.. كان من السهل تحطيمها...

انتشلها صوت كينغسلي من أفكارها السوداء: «ها هي القهوة».

ـ شكراً لك.

ابتسمت له حين وضع فنجاناً أمامها ثم توتر وهو ينحني نحوها ليعانقها بنعومة جعلت الدفء يسري في أوصالها فغادرتها برودة الماضي.

كان جفناها مطبقين. وفي الظلام المخملي الآمن تركت لموجة المشاعر أن تحملها فتجاوبت مع عناقه المغري.

لكنه ابتعد عنها فجأة، وقال بصوت متهدّج: «اشربي قهوتك».

فتحت عينيها فيما استقام وجلس مكانه واحمرت إذ أدركت أنه عرف المشاعر التي أثارها فيها. لِمَ تراه توقف؟ أخفضت رأسها فيما كانت الأفكار تتصارع في رأسها. لِمَ فعل ذلك؟ ليثبت أنه يتحكم بزمام الأمور؟ هذه الفكرة عذبتها فاحتست القهوة من دون أن تتلذذ بمذاقها. لقد أصرّت على أن تسير علاقتهما ببطء وها هو يلتزم بالاتفاق بينهما.

جعلها هذا العناق متوترة وخلف وراءه شعوراً بالحرمان فاختفى شعورها السابق بالارتياح. جلس كينغسلي بهدوء من دون أن يحاول تبريد الجو المتوتر بينهما فوجدت روزالي نفسها تبتلع القهوة بصمت وقد بدت واعية لجسده الطاغي على مقربة منها. هل عانقها على هذا النحو تحضيراً لمرحلة الإغواء التي ستلي بعد قليل؟ طرحت على نفسها هذا السؤال فيما كانت ترتشف قهوتها. هل هذا هو الأمر؟ من المؤكد أن عناقه يقضي على الحذر إلا أنها لا تريد التورط مع رجل لا يحبها ويريد إقامة علاقة معها من

دون التزام جدي.

ـ لم لا تصعدين إلى الطابق العلوي فيما أنظف المكان هنا؟

بدا صوته عادياً، لا بل بارداً فرفعت عينيها إليه بدهشة وقد حوّله ضوء الشموع المتراقص إلى خيال بالأسود والأبيض في عتمة الليل.

ردّت بعجل: «لا، سأساعدك».

ـ ليس هناك الكثير بل بضعة أطباق أحملها وستتكفل آلة الجلي بتنظيف الصحون.

إذن... ما من مشهد إغراء لاحقاً؟ رفضت الإقرار بشعورها بالخيبة فهزت كتفيها بخفة وهي تجيب:

ـ ما دمت مصراً.

ـ كل الإصرار.

ابتسم فيما كان نظره يحوم على وجهها:

ـ ولكن ما إن تنزعي الجص حتى يصبح الأمر مختلفاً. سأتوقع منك مساعدة كاملة.

ـ توقع ما شئت.

بادلته الابتسام مرغمة. إنه يتحدّث كما لو أنهما سيستمران في رؤية بعضهما، كما لو أنّ هذه العطلة ليست سوى البداية، ما أرعبها بشدة.

حاولت أن تنهض بحذر فهي لم تحضر العكازين الليلة لأنهما يعيقان حركتها في الحديقة.

ونهض بدوره ليعينها لكنه أبقاها بعيدة عنه قليلاً فيما راح يتأمل قسمات وجهها وقد لوت ابتسامة صغيرة شفتيه. قال بنعومة:

ـ أنت امرأة معقّدة. أتدركين ذلك؟ غير أنني لا أتذمر. معك، لا أشعر بالملل.

ـ أهذا مديح؟

كانت تشعر بالاحمرار يزحف إلى وجنتيها فيما بدا هو بارداً إلى حد مزعج، هادئاً ومتماسكاً. لكن كينغسلي لا يفصح عن مشاعره.

تراجع ببطء قائلاً: «ما رأيك؟».

كانت يداه دافئتين على ذراعيها وعيناه ثاقبتين وهو يمسك بها. راح ينظر إليها من دون أن ينطق بكلمة فيما كانت تفتش عن جواب مناسب فوجدت أن دماغها تعطل. وهذا ما يحصل عادة في حضوره.

لم يعانقها كما توقّعت بل رفع يده وداعب وجنتها المخملية فيما أردف بهدوء:

ـ عمت مساءً روزي.

ـ وأنت أيضاً.

كان صوتها هامساً فاحتضنها بين ذراعيه للحظة قبل أن يحرّرها.

* * *

ما إن وصل بيث وجورج إلى المنزل حتى أصرّت بيث على إعداد وليمة غداء فاخرة لنهار الأحد. لقد عاد جيف إلى شقته وأوضح أنه يفضل أن تعتني به صديقته بدلاً من أمه فأسرّ جورج لروزالي بهدوء:

ـ هذا حال الشباب في سنه. ولكنني أعتقد أن بيث مستاءة قليلاً. لذا دعيها تفسدك بالدلال اليوم، اتفقنا؟

بادلته الابتسام هامسة: «سأشرح الأمر لكينغسلي».

بعدئذ، لم يبقَ روزالي وكينغسلي وحيدين مجدداً إلا في السيارة وهما في طريق عودتهما إلى شقة روزالي. بدأت روزالي الكلام عندما استقرت في مقعدها وبعدما لوّحت مودّعة لخالتها وزوجها:

ـ شكراً للطفك مع بيث اليوم.

لقد تناول كينغسلي كل الطعام الذي قُدّمته له بيث، وأعانها عندما طلبت منه ذلك ولعب الورق مع الثنائي العجوز مع أنه لا يرغب في ذلك كما أدركت روزالي. كما ناقش مع بيث ميزات فرنسا، وإيطاليا والنمسا. لاحظت أنه وضع نفسه في تصرّف العجوزين ما إن علم بالسبب الذي دفعهما إلى العودة باكراً إلى المنزل فبدا مسلياً. وقد مازح بيث حتى اختفت تلك النظرة المؤلمة في عينيها وعادت إلى سابق عهدها.

ـ لم يكن الأمر صعباً فهي امرأة دافئة ومعطاء تذكرني نوعاً ما بوالدتي.

ـ والدتك؟

لم يسبق له أن ذكر والديه.

رمقته بنظرة خاطفة فملامحه الجامدة تؤثر بعمق في نبضات قلبها. غريب! لم تستطع أن تتصوره كطفل صغير...

أومأ كينغسلي وقال: «توفيت عندما كنت في الثانية عشرة. لقد عانت الأمرّين لإنجابي وحذرها الأطباء من معاودة الإنجاب لكنها سرعان ما أقنعت والدي بمعاودة الكرّة».

وهز كتفيه مضيفاً: «مات الجنين معها وتزوج والدي مجدداً بعد ثلاث سنوات لكنني لم أستطع أن أتفق مع خالتي».

حدقت إليه عاجزة عن الرد: «آسفة».

هز رأسه: «إنه الماضي. توفي والدي عندما بلغت الثلاثين وقد تزوجت خالتي مجدداً».

نظر إليها وقد التوى فمه بغرابة موضحاً:

ـ لم أكن مدعواً إلى الزفاف وقد شعرت بالارتياح لعدم اضطراري لرفض الدعوة.

ـ وما زالت الأمور على حالها؟

ـ عندما أستعيد الماضي أفهم أنني لم أكن طفلاً يسهل التعامل معه. فبالنسبة إليّ، كان اهتمام والدي بامرأة أخرى خيانة لذكرى أمي لذا كان عليهما أن يدفعا معاً ثمن رحيلها كما أن خالتي كانت شقراء عابثة تحب المال.

ثم هزّ كتفيه متابعاً: «صدقيني، أنا لا أبالغ».

ـ صحيح.

عاودت النظر إليه وتساءلت هل تجرؤ على تحويل هذا الحديث المزعج إلى مرح. فقالت بنعومة:

ـ لا تجمّل كلماتك بل قل الحقيقة.

كشّر في وجهها من دون أيّ ارتباك وأكد لها بصوت هادىء:

ـ هذا ما أفعله دائماً. لطالما كنت كذلك.

ما إن بلغا شقة روزالي حتى شعرت بأن عليها أن تدعوه لاحتساء القهوة فوافق كينغسلي بطيبة خاطر.

عندما فتحت الباب، كانت أشعة شمس الغروب تتسلل من نوافذ غرفة الجلوس لتظهر لون الغرفة بأبهى حلة. أشارت إلى الأريكة ثم توجّهت إلى المطبخ. لقد اشترت عربة بعجلات منذ الحادث ووجدتها ضرورية.

عندما عادت وهي تجر العربة وجدت كينغسلي جالساً على السجادة السميكة يتأمل مجموعتها الموسيقية، فسألها: «ألا تملكين شريط موسيقى جاز؟».

ـ آسفة، فأنا لا أحب الجاز.

قال بنعومة: «أرى أن علي تثقيفك في شتى النواحي».

تجاهلت كلامه فهذا أفضل لأنه يبدو مثيراً للغاية. استقر رأيه أخيراً على معزوفة كلاسيكية اشترتها منذ مدة طويلة، وكانت قد بدأت تشعر بالاسترخاء بعدما جلس قربها وحين خرج عن صمته قائلاً:

ـ هل ذكرت لك أنني أبحث عن منزل في لندن؟

عجزت للوهلة الأولى عن الرد لكنها قالت لاحقاً: «صحيح؟ ولِمَ تفعل بذلك؟».

نظر إليها ثم وضع فنجان القهوة على طاولة قرب الأريكة وأحاطها بذراعه وهو يقول: «يبدو ذلك منطقياً فالإقامة في الفنادق غير مناسبة».

ـ لكنك تبني فندقك الخاص في لندن ويمكنك بالطبع تخصيص جناح لاستعمالك الخاص؟ كما أن أعمالك الأساسية في الولايات المتحدة. أليس كذلك؟

وافق بلباقة: «في الوقت الحاضر. لكنني أود تطوير هذا المشروع

ليشمل ثلاثة فنادق أخرى هنا».

لم تعد تعرف كيف تعالج الوضع فسألته: «حقاً؟».

لم تلاحظ نبرة صوتها حتى نبهها بنبرة ناعمة تخفي تحتها بعض الحدّة:

ـ ظننت أنك ستفرحين فشركتك ستحظى بالمشروع إذا ما اتممتم العمل على أفضل وجه.

أحست بأن حنجرتها مطبقة وازدردت بريقها مرتين قبل أن تتمكن من أن تقول: «بالطبع، سننجزه جيداً».

وأدركت أنها تحاول تجاهل الموضوع الأساسي لكنه قال: «بالرغم من المجال الذي أعمل فيه ألا أنني لم أستسغ يوماً الإقامة الدائمة في فندق».

ولامست ساقه ساقها فانتفضت روزالي لكنها عجزت عن الحراك فأكمل:

ـ الفنادق لا تحمل صفة شخصية فهي ليست كالمنزل كما أن امتلاكي لهذه الفنادق يجعل الموظفين يحومون حولي دوماً... الأمر أشبه بالعيش في حوض للأسماك.

وخطر لها بأن حياته العاطفية شكّلت من دون شك مادة دسمة للمراقبة.

جاهدت لإبقاء صوتها جامداً وهي تقول: «أتفهم ذلك».

ـ عدم استساغتي للإقامة في فندق أم تدخل الموظفين في حياتي؟

احتست قهوتها وردت ببرود: «الاثنان معاً».

شعرت بنظرته الزرقاء تبحث في وجهها لكنها أبقت عينيها على فنجان القهوة. قال بعد لحظة فيما كان يصلح جلسته: «إذن، هل من اقتراحات؟».

رفعت حاجبيها متسائلة: «اقتراحات؟».

ردّ بصبر: «بشأن المنزل».

فقالت بحذر: «لا أملك فكرة عما قد يثير اهتمامك. هل تريد شقة أم منزلاً أم ماذا؟

ـ لا أريد ماذا.

وشعرت بأنه ابتسم قبل أن يضيف: «على الأرجح شقة. فأنا أملك منزلاً في نيويورك وفيللا في جامايكا. لعل الشقة هي الأنسب».

منزل وفيللا؟؟ يا له من محظوظ!

لم تفهم روزالي لما ارتبكت لأن كينغسلي يفكّر في مقر له في لندن. لكنها فعلت. إلا أن لندن مدينة كبيرة قادرة على استيعابهما معاً من دون أن يصطدما ببعضهما لبقية حياتهما.

أخذت نفساً عميقاً وقالت بمرح: «يجدر بك اللجوء إلى خبير».

ـ هل تعرفين من أستطيع اللجوء إليه.

انتفض قلبها. ما كان عليها أبداً أن توافق على العمل لحسابه، فلو رفضت لما حصل شيء من هذا. لكن مايك كان ليثور حتماً لو علم أنها رفضت مشروعاً كهذا لا سيّما أنه يتضمن التعامل مع شخص بحجم كينغسلي.

اشتدت يداها على الفنجان وطمأنت نفسها بحزم بأنها لم تكن تملك الخيار. فمنذ حفل العشاء لدى جايمي والأحداث تتوالى وتتسارع لوحدها لكن بمساعدة من كينغسلي بالطبع.

نظرت إليه فوجدت العينين الزرقاوين تتأملانها وقال بنبرة كسول:

ـ يجدر بي الذهاب. سأعود إلى الولايات المتحدة في الصباح الباكر.

بدت عليها الدهشة: «ستعود؟ ولكن؟».

ـ ماذا؟

ـ لقد وصلت نهار الجمعة، أليس كذلك؟

أومأ ايجاباً وقد استقر نظره على وجهها المندهش: «ولكنك جئت طبعاً من أجل العمل... من أجل الفندق؟».

وحاولت إعادة تنظيم أفكارها فسألته: «ألا تريد الإشراف على

العمل؟».

داعبت أصابعه وجنتيها قبل أن يعانقها بعمق ثم تمتم لاهثاً وهو يستقيم:

ـ ومن قال إني جئت من أجل العمل؟ نامي هانئة يا روزي.

ثمّ غادر الشقة.

* * *

٧ ـ شيء في صدري

ـ ومتى سترينه مجدداً؟

في مساء اليوم التالي، وقفت بيث على عتبة بيث روزالي ما إن عادت هذه الأخيرة من عملها. بدا أن خالتها جاءت إلى المدينة بهدف التبضع لكن روزالي شكت في دافعها الحقيقي. ما إن فتحت الباب لبيث حتى دار الحديث عن ذاك الرجل الأمريكي الأسمر الطويل وبدا واضحاً أن بيث مأخوذة تماماً به.

ـ قلت لك، لا أدري.

كانت المرأتان جالستين في الغرفة تشربان العصير بانتظار وصول البيتزا التي طلبتها روزالي. وكان يمكن لجلستهما أن تغدو مريحة لولا عناد بيث التي راحت تستفسر بقلق:

ـ ولكنكما تخرجان معاً، أعني بشكل رسمي؟ لم تتفقا على اتباع موضة العصر الفظيعة حيث يكون كل طرف حراً في العيش كما يحلو له؟

ـ بيث...

ـ آه، لا! قولي لي يا لي إن الأمر ليس على هذا النحو!

ـ أنت لا تفسحين لي المجال لأخبرك بشيء.

ولطّفت روزالي الكلمات التي تفوهت بها بابتسامة رقيقة لكنها بدأت تتساءل عن الطريقة الأمثل لتشرح لخالتها طبيعة علاقتها بكينغسلي فيما هي لا تعرف طبيعة العلاقة بينهما.

قالت بحذر: «لقد أخبرتك بظروف لقائنا وقلت لك إني سأعمل

كمشرفة تنفيذية لحساب شركات وارد. كما اتفقنا على أن نتواعد قليلاً عندما يكون في انكلترا لنرى ما ستؤول إليه الأمور لاحقاً».

وأكملت في سرّها: لكنها لن تفضي إلى أي مكان.

انحنت بيث إلى الأمام وعيناها على وجه روزالي: «إذن فهو لا يواعد أحداً حالياً في الولايات المتحدة؟».

ردت روزالي بحذر أكبر: «سؤال وجيه. لا أعتقد ذلك».

ولكن مع رجل ككينغسلي وارد، من يدري؟

تململت بيث قليلاً كما تفعل عندما لا تكون راضية عن شيء ما: «لي، إنه رائع، أكثر الرجال جاذبية منذ...».

يبدو أن الكلمات لا تكفي لوصف شخصية كينغسلي فصاحت بيث: «... منذ الأزل. ولم تضعا قواعد ثابتة لعلاقتكما؟».

ـ لا تجري الأمور على هذا النحو.

ـ ولن تفعل مع رجل مغر ككينغسلي إن لم تصّري أنت على وضع القواعد.

فقالت روزالي: «لست واثقة من رغبتي في إقامة علاقة مع كينغسلي».

ها قد أقرّت بذلك، وما عليها إلا أن تنتظر هبوب العاصفة فيما هي تحدّق إلى خالتها.

لدهشتها، ارتدّت بيث في مقعدها قبل أن تنتهد مطولاً وتقول بصوت عالٍ: «إنه هو، وجه الشؤم، أليس كذلك؟».

وجه الشؤم هو لقب مايلز الذي أسبغته عليه بيث منذ الطلاق وتابعت:

ـ أنت لا تفكرين فيه، أليس كذلك؟ أي لم تعودي مهتمة به؟

غريب! لقد طرح عليها هذا السؤال مراراً في الأيام الأخيرة فأجابت روزالي بهدوء:

ـ الزمن يلطّف الذكريات المؤلمة فيجعلها شاعرية. لا يا بيث، الأمر لا ينطبق عليه.

انحنت بيث إلى الأمام وردت بجدّية:

ـ ربما يعود السبب إلى معدتي الفارغة. لكن هل ما جرى بينك وبين مايلز أحبطك يا لي ومنعك من الارتباط بشخص آخر؟ إن كان الأمر كذلك فلا تدعيه يفعل. ليس الآن وليس مع كينغسلي فالرجال أمثاله يأتون مرة في العمر.

ترددت روزالي ثم قالت بهدوء شديد:

ـ الزواج من مايلز كان كابوساً حقيقاً بيث فأنت لا تعلمين إلا أنصاف الحقائق.

حدّقت إليها بيث ووجهها المستدير الجذاب يبدو كئيباً.

أخذت روزالي نفساً عميقاً وأعلنت:

ـ أدرك أن العائلة لا تحب التحدث عن والدي ووالدتي لكن والدي يعدّ طبيعياً مقارنة بمايلز.

حدّقت إليها بيث: «ظننا، أنا وجورج، أنك لا ترغبين في التحدّث عن والديك، لأنك لم تتحدثي عنهما أبداً، لذا لم نفعل نحن بدورنا».

ـ لطالما كان موضوعاً محرّماً. ظننت أنكم تخجلون مما حدث.

بدا الرعب على بيث وهي تقول: «لا، لا. لكن أمي وأبي ونحن جميعاً لم نكن واثقين مما رأيت فعلاً أو ما تذكرين فلقد كنت طفلة صغيرة وظنت والدتي أننا إن لم نتطرق إلى الموضوع، فستتجاوزين الأمر بسرعة أكبر».

هزت روزالي رأسها ببطء وتأوهت. ثم بدأت بالكلام عما اختزنته في أعماقها، الشكوك والمخاوف كلها، الذل والذنب اللذان كبتهما منذ سنوات. وكلما طال الحديث، كلما ازداد بكاؤهما لكن دموعهما غسلت نفسيهما. وفي مرحلة ما من الحديث قالت لها بيث:

ـ كان والدك يحبك للغاية. لطالما استغربنا كيف أنه لم يكن غيوراً منك رغم حب والدتك الشديد لك فيما كنا نحن نواجه مشكلة في علاقتنا بها. كنا نحاول كسر هذا الطوق، لكنه كان يعتبرك امتداداً لنفسه ولأمك

على ما أعتقد. أعتقد أنها الحقيقة.

أحسّت روزالي بحمل كبير يرفع عن كاهليها.

وفجأة سألت بيث: «ما الذي دفعك إلى ذكر والديك هذا المساء على أيّ حال؟».

وجاء دور روزالي لتتململ قليلاً: «كنت أتحدث عنهما مع كينغسلي خلال العطلة».

أثرت روزالي بذلك فانحصر تفكير بيث بالفكرة التي حملتها على المجيء إلى هنا فأعلنت: «أجل كينغسلي. أين وصلنا في الكلام عنه؟».

نظرت روزالي إليها متوعدة: «دعي الأمر بيث».

فتابعت بيث كما لو أنها لم تسمع شيئاً: «نعم، أنت لست متأكدة مما إذا كنت تريدين الارتباط بأكثر الرجال وسامة في محيطنا».

حملت نظرة روزالي شيئاً من الحنق وردت بحزم: «الأمر ليس كذلك، فنحن... صديقان».

مجرد صديقين؟؟ بدا كلامها ضعيفاً حتى لنفسها. فتحت بيث فمها لتحتج لكن رنين جرس شقة روزالي قاطع كلامها فانتفضت قائلة:

ـ لقد وصلت البيتزا. سأفتح الباب.

نهضت روزالي. كانت متوجهة إلى المطبخ عندما استوقفها عند عتبة غرفة الجلوس منظر بيث المطمورة بجبل من الزهور. لم تكن الباقة المؤلفة من زهور السوسن والأوركيديه الشاحبة كباقات الورود الحمراء التقليدية التي يرسلها الرجل إلى امرأة تعجبه غير أن كينغسلي لم يكن رجلاً عادياً.

بدا واضحاً أن بيث تفكر في الأمر نفسه إذ ساد الصمت فيما رمقت ابنة اختها بنظرات مطوّلة ذات مغزى قبل أن تقول: «صديقان... هذا صحيح».

تحلت روزالي بالصبر وقالت بمرح: «هذا كل ما في الأمر بيث. ومن قال إن هذه الزهور من كينغسلي على أيّ حال».

لكنها كانت تعلم أن أي احتمال آخر غير وارد.

عكست بيث أفكار روزالي إذ قالت: «تقصدين أن أكثر من رجل وسيم يسعى وراءك. لا يوجد من يتمتع بحظ مماثل».

كانت الزهور من كينغسلي الذي كتب على البطاقة بطريقته الخاصة: «إني أفكر فيك (ك)».

لدى وصول البيتزا، انهمكت بيث بتوزيعها في الصحون التي جهزتها روزالي وحملت صينيتين إلى غرفة الجلوس حيث ستتناولان الطعام وتشاهدان مسلسلهما التلفزيوني المفضل. في هذه الأثناء، نسقت روزالي الزهور في مزهريتين كبيرتين وتركتهما في المطبخ.

فكرت في أنها ستحملهما إلى غرفة الجلوس بعد رحيل خالتها وإلا فسيكونان منبهاً لبيث وستتطرق إلى موضوع كينغسلي طيلة الأمسية.

عاودت النظر إلى البطاقة قبل أن تغادر المطبخ. «أفكر فيك» من دون أي عبارة شاعرية تثير المشاعر. مجرد هذه العبارة البسيطة. لكن هل يفكر فيها حقاً؟ إن حياته بعيدة عن حياتها بُعد الأرض عن القمر. فهل فكر فيها كثيراً منذ رحيله؟ الورود وسيلة سهلة، إذ كان مايلز يرسل لها باقة من الورود كل يوم في بداية تعارفهما ما أثار حسد زميلاتها في الجامعة. ولكن بعد انفصالها عنه، اكتشفت أنه كان على علاقة مع نساء أخريات حتى في تلك الفترة.

شعرت بالضيق من نفسها لأنها أثارت الماضي ولأنها تركت الذكريات تفسد عليها هذه اللحظات الحلوة. إنها زهور رائعة من دون شك.

وصلت سيارة الأجرة التي ستقل بيث عند التاسعة مساءً وقررت روزالي أخذ حمام ساخن مستخدمة زيتاً معطراً تلقته كهدية في عيد الميلاد الماضي علّها تدلّل نفسها قليلاً بذلك.

أشعلت زوجاً من الشموع العطرة كما أطفأت النور الرئيسي لتتمكن من الاسترخاء على ضوء الشموع المتراقص.

لقد توقفت عن الشعور بالسخافة لاضطرارها إلى رفع قدمها الموضوعة في الجص بعيداً عن الماء. تمددت بحذر في المياه، ثم أغلقت عينيها متنهدة بنعومة ورضى. أفرغ العطر المثير الدافىء والمغري عقلها من أي أفكار فشعرت بالتوتر يتسلل منها لتغمرها موجة من الراحة.

عندئذ، تعالى صوت الهاتف. وعندما لم تعد تستطيع تجاهله مدة أطول، خرجت من المياه على مضض متمنية لو يتوقف قبل أن تصل إليه. أمسكت منشفة الحمام وهرعت إلى الرواق.

التقطت السماعة وأعلنت بنبرة جافة خلافاً لعادتها على الهاتف: «آلو؟».

أعقب ذلك صمت تام حتى سمعت صوتاً عميقاً عرفته على الفور يقول بدهشة:

- روزي. أهذه أنت؟

- كينغسلي؟

كان صوتها عالياً وجاهدت لخفضه ثم قالت بصوت متقطع: «ظننتك في الولايات المتحدة».

- وأنا كذلك.

وشعرت من نبرة صوته أنه يبتسم:

- هل وصلتك الورود؟

- الورود؟ نعم، نعم. إنها رائعة، شكراً.

وتابعت تتمتم بغباء:

- ما... كم الساعة عندك؟

كان صوته عميقاً، أجش وواضحاً كما لو أنه في الغرفة المجاورة. ارتعشت روزالي عندما قال بنعومة: «لا أهمية للوقت. هل كان يومك جيداً؟».

- نعم.

كان قلبها ينتفض بقوة فوضعت يداً على صدرها قبل أن تجيبه:

«وأنت؟».

ـ لا بأس.

أعقب رده صمت مريح قبل أن يضيف: «حلمت بك مراراً في صحوتي وفي منامي فما تفسيرك لذلك؟».

ابتلعت ريقها بصعوبة وحاولت التظاهر بالمرح حين أجابته بهدوء: «ربما أسرفت في تناول الجبنة».

ضحك فتخبط قلبها بين أضلعها. ثم أقرّ بهدوء:

ـ رغبت في سماع صوتك الآن وفي هذه الدقيقة. هذا جنون، أليس كذلك؟ ماذا فعلت بي؟

ازدردت مجدداً بريقها فيما أحست بقطرات المياه تنحدر على جسدها.

وهمس: «كانت عطلة جميلة بل أفضل ما حظيت به منذ وقت طويل. اشكري بيث وجورج مجدداً عندما تكلمينهما فهما طيبان».

انقبضت معدتها لنبرة صوته المغرية وجاهدت لإخفاء مشاعرها وهي ترد:

ـ لقد انصرفت بيث لتوّها وهي مأخوذة تماماً بسلّة الزهور التي وصلت في حضورها... لو رأيتها لظننت أنها من تلقتها.

ـ لقد أرسلت لها واحدة.

سألته بحذر: «هل فعلت؟ هذا لطف منك».

ساد صمت قصير قبل أن يقول بنبرة مخملية: «كنت محقة حين ظننت أنني أحاول التأثير فيها إذ أشعر بأنني سأستعمل كل سلاح بحوزتي حينما يتعلق الأمر بك».

لم يكن كلامه يحمل أيّ اعتذار. طرفت عينا روزالي وغمرها شعور بالسعادة حملها على إطباق جفنيها بقوة للحظة وقالت متصنعة القسوة والعبوس قدر استطاعتها:

ـ ما تفكر فيه بيث لن يؤثر فيّ فأنا سيدة نفسي.

وأضافت في سرّها: أو كنت كذلك قبل لقائي بك.

ـ لن تكوني بخيلة إلى حدّ التمسك بالفتات أيضاً. ثمة ما يكفي لرجل جائع!

ـ هل تعني أني سمينة؟

ردت بمرح وقد استشفت نبرة العبث في صوتها وعجبت لذلك.

فقال بصوت أجش: «أنت كاملة الأوصاف أقله بالنسبة لي».

النجدة! فهي بطيئة في هذه اللعبة لتنجو بنفسها إذا ما استمرت أكثر من دقيقة. وانتفض تفكيرها ثم خبا.

ـ روزي؟ أما زلت معي؟

ـ نعم.

حثّت نفسها على التماسك وتصنّع البرودة واللامبالاة كما لو أنّ هذا الحديث لا يثير اضطرابها أبداً.

ـ حسناً، على الذهاب فثمة مشكلة طارئة في أحد الفنادق، إنه طوفان. كنت آمل أن أعود إلى انكلترا في نهاية الأسبوع لكن يبدو أن وقتاً أطول سيمرّ قبل أن أتمكن من الفرار.

أخذت نفساً عميقاً وردت باقتضاب:

ـ حسناً، إذا طرأت أي تعقيدات أو عراقيل على المشروع هنا، فأنا أعرف كيف أتصل بك، كما أن المهندس الذي يعمل هنا خدوم جداً.

ردّ بصوت منخفض: «تباً له. أريد احتضانك، أريد معانقتك حتى...».

وصمت للحظة ثم قال بصوت جاف: «عمت مساء روزي! أتمنى لك أحلاماً هانئة طالما أنني جزء منها».

ـ عمت مساءً.

أعادت السماعة إلى مكانها بطريقة شاردة.

عندما عادت روزالي إلى الحمام، اكتشفت أن تأملاتها المريحة تبخّرت من المياه بسبب كينغسلي، فنبرته أثارت كافة أنواع المشاعر

البعيدة عن المنطق.

أمضت ما تبقى لها من الوقت في الحمام، في وعظ نفسها بقسوة. فهي امرأة عاملة عصرية تطمح إلى التقدم وقد قطعت شوطاً كبيراً في السنوات العشر الأخيرة. فالعلاقات، مهما كانت، تعني الأخذ والعطاء ووفقاً للقوانين الإنسانية لا بدّ أن يأخذ أحد الطرفين أكثر من الآخر. لذا فالسيطرة والتلاعب بالآخر صفتان مرتبطتان بالعلاقات. كما أن كينغسلي من النوع الذي ترتكز حياته على التحكم بزمام الأمور، على الأقل منذ فسخ خطوبته.

ولكن، بغض النظر عن ذلك كله وإذا ما تناست كل ما تعرفه عن أسلوبه البارد في المسائل العاطفية، فإن مشاعرها الخاصة تشير إليها بأن التورط معه أشبه بالانتحار العاطفي. فلسبب ما، تغلغل في عروقها وبقدر ما كانت ترغب في الكذب على نفسها واقناعها بأنّ الأمر لا يتعدّى الانجذاب الجسدي الذي يسهل التعامل معه إلا أن عطلة نهاية الاسبوع أظهرت لها أن الوضع مختلف. لقد استمتعت بقربه كثيراً وأحبته كثيراً.

لقد أدار مايلز عقلها فتزوجته في فورة الحب والجاذبية من دون أن تدرك حقيقة الرجل المختبىء خلف الواجهة. خدعها فدفعت الثمن...

إلا أن كينغسلي ليس مثله لأنه ظهر على حقيقته منذ اليوم الأول، إذ أعلمها أنه لن يُغرم بها أبداً وأنه يريد علاقة عابرة يستطيع التخلي عنها بدون أي تعقيدات أو مشاعر فوضوية تعقّد الفراق. حدّقت إلى صورتها في المرآة الرطبة لبرهة. لا يسعها التحكّم بمشاعرها على هواها مع أنها تود ذلك في هذه اللحظة، كما أنها لا ترغب في أن تصل إلى مرحلة حيث يملك الرجل القدرة على جعلها تجثو على ركبتيها مجدداً. وانتابها شعور بأن كينغسلي قادر على إيذائها أكثر مما أذاها مايلز ألف مرة. لقد انهارت مرة لكنها لم تتسبب بذلك لنفسها عمداً، لكن إذا ما تورطت مع كينغسلي فهي ستعلم، إذا ساءت الأمور بينهما، أنها جلبت ذلك لنفسها.

خلدت إلى النوم ذاك المساء مصممة على عدم التورط أكثر مع

كينغسلي. كان الأمر بسيطاً، لا بل شديد البساطة إذا ما فكرت منطقياً في كافة الوقائع، وفي أنه سيكون من الجنون توطيد الصلة بينهما. لقد قال لها إنهما سيترويان بحسب رغبتها. حسناً. سنجري الأمور ببطء، لدرجة أن رجلاً مكتملاً ككينغسلي سيفقد اهتمامه لينتقل إلى آفاق جديدة.

ستبقى منهمكة في العمل وستخرج مع صديقاتها كشرط أساسي وستهمل مظهرها قليلاً كما ستحجز لقضاء عطلة في مكان ما في السنة القادمة وستعيد تنظيم حياتها بشكل عام. لعل لقاءها بكينغسلي قدّم لها خدمة إذ جعلها تعقد العزم وتقرر ما تريده فعلاً من الحياة.

أومأت بحزم وتقلبت في الفراش لتغفو على الفور تقريباً. لكنها لم تستطع التغلب على لاوعيها بسهولة، فأشباح الماضي التي تبقيها سجينة معظم الوقت في النهار عادت تعذّبها، بسبب عطلة نهاية الأسبوع على الأرجح ومن ثم اتصال كينغسلي.

وجدت روزالي نفسها في وادٍ مظلم عميق مليء بالأشباح والأشكال الغريبة التي يتداخل فيها الماضي والحاضر. استيقظت قرابة منتصف الليل والدموع تملأ وجهها فيما جسدها متوتر بسبب الكابوس. لقد رأت كينغسلي أيضاً في الحلم، لكنه بدا مختلفاً، فعيناه بنيتان وليستا زرقاوين، كما كان يشتعل غضباً... يصرخ، يضرب ويلكم...

جلست في السرير وقد أدركت أن قميصها التصق بجسدها الرطب ثم مررت يدها المرتعشة على وجهها وأرجعت شعرها الكثيف الملتصق بوجنتيها المبللتين إلى الوراء.

لِمَ لم تهجر مايلز قبل تخرجهما بمدة طويلة؟ لطالما عذّبها هذا السؤال ولكنها كانت يافعة جداً حينذاك، مرتبكة ومرتعبة. لقد اعتاد على أن يضربها عندما يسوء مزاجه كما كان يلكمها في بعض المناسبات لكنه سرعان ما يعود ويعتذر فتسامحه من جديد. إنه مايلز ستيوارث، الرجل الذي حسدها الآخرون على زواجها به، لذا اعتبرت أن مشاحناتهما غلطتها هي من دون شك.

في ذلك المساء، وبعدما احتفلا مع أصدقائهما، فتحت خطأ باب إحدى غرف النوم في المنزل الكبير الذي تقام فيه الحفلة معتقدة أنه باب الحمام فوجدت مايلز وإحدى صديقاتهما في الفراش معاً. هددت وتوعدت وغادرت المنزل مصممة على العودة سيراً إلى الشقة التي يعيشان فيها، لكن مايلز لحقها في سيارته. ظنت عندما سمعت هدير السيارة أنه جاء يعتذر منها لكنه صدمها بقوة ففقدت الوعي. عندئذ، وضعها في السيارة وأعادها إلى المنزل حيث اعتدى عليها. في تلك الليلة، تغيّر شيء ما إلى الأبد.

أطبقت روزالي عينيها وضمت ركبتيها إلى صدرها فيما عاودتها ذكرى الماضي. تلك الليلة شهدت موت ما تبقى من مشاعر في قلبها.

عندما بدأ مايلز يلكمها هذه المرة، أحست بشيء ما يدفعها إلى العراك فوجهت له لكمة بدورها وخدشته بكل ما أوتيت من قوة. وعندما أدركت أنه ينوي اغتصابها، لم تعد تدرك ما جرى، لكن أحد الجيران خلع الباب وخلصها من براثنه في اللحظة الأخيرة.

لقد تم الطلاق بسرعة وبهدوء وقد حرص ذوو مايلز على ذلك بعد أن شاهدوا الأدلة التي تدين ابنهم. خافوا أن تمرّغ اسم العائلة واسم مايلز في الوحل. نعم، كانت لتفعل ذلك إذا لم ينفّذ طلباتها كلها، رغم أنها كانت لتتعذب عذاباً شديداً إذا ما كشفت الحقائق المتعلقة بزواجهما لغير محاميها الطيب.

ما زالت تذكر شعورها لحظة إعلان انفصالها الشرعي عنه. كانت مرهقة فكرياً وجسدياً في الأسابيع التي سبقت الطلاق لكنها أحست يومها أن حملاً رُفع عن كاهلها وأنها خفيفة كالريشة. لم يدم شعورها ذاك طويلاً فذكريات الأذى والألم اللذين تعرضت لهما على يد مايلز كانت تعاودها في أغرب الأوقات، لكنها كانت تستعيد ذكرى اللحظة التي تحررت فيها روحها. أخذت روزالي نفساً عميقاً وتسللت لتنظف وجهها. وذكرت نفسها بحزم بأن ثمة أناس عانوا أكثر منها فهي لم تتعرض للتشويه أو تصب

بإعاقة كما لم تجهض. وهي لم تغدو عدائية أو جائعة كما لم تتشرد على الطرقات فلديها بيت جميل ووظيفة محترمة وهي سعيدة الآن. لكن الأمور بدأت تتغيّر مع ظهور كينغسلي على الساحة، وما إن يغادرها، حتى تكون بخير.

تجاهلت انقباض معدتها لفكرة العيش من دون كينغسلي وانسلّت تحت الأغطية مجدداً. إن سماع صوته في وقت غير متوقع الليلة بلبل أفكارها ولكنها تستطيع التكيف مع ذلك. يجب أن تبقى على مسافة آمنة من كينغسلي وارد لئلا يخذلها قلبها وعقلها معاً. الأمر بسيط فعلاً...

***

٨ ـ تحت التجربة

كان الصيف في أوجه ولندن واقعة تحت تأثير موجة حر ما جعل مئات العمال يلجأون إلى منتزهات العاصمة ساعة الغداء، ليأكلوا السندويشات تحت الأشجار ويستريحوا قبل أن يعودوا مجدداً إلى العمل.

ما يهم روزالي هو أن كاحلها تماثل للشفاء والوخز الذي كانت تشعر به ولّى.

مرّ أسبوعان منذ قضائها نهاية الأسبوع مع كينغسلي في منزل بيث. فهو لم يعد إلى المدينة مع أنه اتصل مراراً بروزالي، وكلما اتصل بها كانت تعد نفسها بألاّ تنفعل أو تهتم، لكنها لم تلتزم بوعدها.

وفي اليوم الخامس عشر، جاءها اتصال آخر منه حيث أعلمها أنه وصل إلى مطار هيثرو حوالى الساعة السادسة. قال ببساطة وقد بدا صوته عميقاً إنه يودّ دعوتها على العشاء إن لم تكن مشغولة. سيقلها عند الثامنة ليتوجها إلى نادٍ يعرفه، حيث الطعام جيد، وحيث يمكنهما الرقص قليلاً للاحتفال بشفائها.

وخطر لروزالي أنها فرصة ممتازة لإبطاء الأمور، فهما لم يلتقيا منذ بعض الوقت، وإذا ما ألغت الموعد فلا يمكن لكينغسلي أن يتجاهل الرسالة. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «العشاء؟ أودّ ذلك».

ـ عظيم.

كان صوته حاراً مما بعث الرعشة في جسدها.

لا، ما العظيم في الأمر! هذا غباء، غباء، غباء!

قال بصوت ناعم: «هل كنت عاقلة خلال غيابي»؟.

حسناً، لقد تخاذلت منذ قليل فلا تظهري الضعف لمجرد سماع صوته!

ـ عاقلة؟ حسناً، وزّعت خدماتي بين العديد من عشّاقي بالتساوي، فهل هذا تصرف عاقل برأيك؟

وشكرت الله لأنها لا يرى وجهها المحمرّ ويديها المرتجفتين.

ثم أضافت بصوت حذر: «وماذا عنك أنت؟».

رد بغرابة: «لا أحبذ العمل من دون متعة».

ازدردت روزالي بريقها وقد جعلت الرجفة التي سرت في أوصالها فمها يجف.

وبعد لحظة صمت، أضاف: «... أراك في الثامنة... وداعاً روزي».

حدقت إلى الهاتف لبضع دقائق قبل أن تعيد السماعة إلى مكانها وهي تهز رأسها. إنها مجنونة... فعلاً مجنونة!

في العاشرة إلا ثماني دقائق من ذلك المساء، كانت روزالي هادئة ظاهرياً فيما راحت ترتعش من الداخل. وعندما تنبهت لتوترها وهي جالسة في غرفة الجلوس، حاولت الاسترخاء.

ذهبت مجدداً إلى غرفة النوم للتحقق من مظهرها في المرآة الطويلة كما لو أنها لم تقف أمامها مطولاً قبل قليل.

لقد رفعت شعرها لأول مرة في حياتها فأبرزت التسريحة عنقها النحيل كما بدت عيناها مع الكحل واسعتين فيما أضفى أحمر الشفاه بريقاً على شفتيها فاستعادت ثقتها بنفسها، الثقة التي كانت بأمس الحاجة إليها.

كان الفستان المصنوع من الموسلين والساتان يصل إلى ركبتيها، ولونه البنفسجي يبرز جمال شعرها الكستنائي. وقد انتعلت حذاءً ناعماً اشترته مع حقيبة مناسبة.

كانت راضية عن الثوب الجميل والأنيق الذي عكسته المرآة وفكرت

في أن هذا ما تحتاجه الليلة.

عندما سمعت صوت الجرس، عدّت حتى عشرة ثم رفعت سماعة الهاتف الداخلي: «نعم»؟.

ـ أنا كينغسلي.

بدأ قلبها يتخبط في صدرها. ضغطت على زر الباب الأمامي تفتحه، ثم فتحت باب شقتها لتلاقيه في المدخل. ابتسم وقبل أن تتلفظ بأي كلمة، عانقها بحرارة لكن مدة عناقه لم تطل، إذ رفع رأسه وقال بنبرة كسولة لا تخلو من سخريته المعتادة: «أنت تجسدّين أحلامي كلها».

وتذكرت طريقته في الكلام فقالت مبتسمة: «أحلامك كلها؟».

لم تستطع روزالي نسيان عناقه الذي أفقدها توازنها وجعلها متوهجة تضج حيوية.

لم يجبها على الفور ولكن يديه امسكتا بها وقال: «حلمت بك مراراً في هذه الأيام».

كانت عيناه تتأملان في وجهها وعينيها الرماديتين وأنفها الصغير، ثم عانقها.

هذه المرة، دام عناقهما مدة أطول وبدا أكثر حميمية.

أدركت روزالي أنها تبادله العناق وأدركت أنها كانت توحي له بإشارات خاطئة لكنها عجزت عن التراجع. يكفي أن يكون قربها لتفقد السيطرة على نفسها. لكن لا بدّ أن تتمالك نفسها... لذا، تحججت بإعادة إصلاح زينتها لتبتعد عنه.

بعد قليل، استقلا سيارة أجرة. أخذ يدها في الطريق وراح يستعلم عن يومها ثم أخبرها بدوره عن يومه وعما حصل في الأسبوعين الماضيين.

تابعا الحديث حتى بلغا النادي. كانت طاولتهما في مكان مناسب، بعيد عن الفرقة الموسيقية إنما قريب من حلبة الرقص.

استوى في جلسته فيما استقرت عيناه اللامعتان الزرقاوان عليها قائلاً بهدوء: «أنا سعيد لتعافي كاحلك. يمكننا الخروج غالباً الآن».

كانت عيناه تتحدیانها لترفض. حدقت إليه روزالي وهي تعي الجو الحميم الذي يسود بينهما منذ تبادلهما العناق. تمكنت أخيراً من أن تقول: «بقدر ما تسمح به أعمالنا وأشغالنا».

حاولت أن تبدو نبرتها واقعية لكنها أدركت أنها لم تجب عن سؤاله بالسرعة المطلوبة فتابعت:

ـ أفترض أن الفرصة لن تتكرر كثيراً.

حدجها بنظرة طويلة صامتة وتململ في كرسيه فسجّل كل عصب في جسدها هذه الحركة. ثم قال بسخرية كسولة: «إذن، علينا السعي إلى ذلك، أليس كذلك؟ إذ يفترض بالأصدقاء أن يجتمعوا غالباً».

أصدقاء؟! وحارت كيف تتقبل الوضع.

كان ينظر اليها بمرح وقد التوى فمه قليلاً فهو يدرك تأثيره فيها. هزت كتفيها بحذر مع وصول النادل وما إن انصرف، حتى انحنى كينغسلي نحو الأمام وقد اختفى المرح من صوته الأجش:

ـ تعجبينني كثيراً يا روزي ومن المهم أن تدركي ذلك. في البدء، لم استسغ انجذابي إليك وتفكيري الدائم بك. لكن في ما بعد... رحبت بالفكرة. لا أريد استعجالك وأنا متمسك بذلك لكن شعوري نحوك...

ورفع يده ليلامس وجنتها فتاهت عما يقوله... لا تعرف كيف تتصرف مع هذا الرجل وما نوع علاقتهما فحيناً تبدو حميمة وحيناً آخر، تبدو باردة... أسند ظهره إلى الكرسي وقال بهدوء وهو يراقبها عن كثب: «أيزعجك الأمر؟».

ردت بخجل وقد سرى شعور غريب في أوصالها: «بالطبع لا. فالكل يرغب في أن يكون محبوباً، أليس كذلك؟».

بدا الأمر أكثر جنوناً من قبل وأدركت أن رجلاً مثل كينغسلي لا يناسبها.

أعلن بهدوء: «لا أعلم، اخبريني أنت».

هزت كتفيها وقالت: «وما العيب في تبادل الإعجاب».

أصر بنعومة: «ماذا لو تطور الاعجاب إلى أكثر؟».

طرفت بعينيها وأشاحت نظرها عنه. حاولت التفكير في شيء ليعود الحديث إلى طبيعته لكنها فشلت تماماً.

بدا صوته ناعماً وعميقاً وهو يقول: «فهمت».

تسارعت نبضات قلبها وبدا عليها الانزعاج فسألته بجرأة وهي تتوق فعلاً لمعرفة الجواب: «وماذا فهمت؟».

لم يجبها، بل قال بنعومة شديدة: «أظن أن الطريق أمامنا طويل، أليس كذلك؟».

كان تصريحاً وليس سؤالاً. وراقبها بصمت مترقباً.

ظهر نادل آخر حاملاً لائحتي طعام، فسرت روزالي لمجيئه لكنه ما لبث أن انصرف فقال كينغسلي فجأة: «أخبرتني سابقاً عن ذويك. هل بمكنك إخباري المزيد؟».

أجابت بالرفض فنظر إليها متأملاً وأومأ بالقبول.

بقية الأمسية التي أمضتها مع كينغسلي كانت مسلية وعزت ذلك إلى الطعام الجيد الذي تناولته والشاب التي ارتدتها فضلاً عن صحبة الرجل الذي رافقها. دهشت لأن كينغسلي تحوّل إلى رجل آخر وعاد جذاباً ومرتاحاً نفسياً. لقد هدأت أعصابه فجأة وقرّر أن يحوّل الأمسية إلى أمسية جميلة ومسلّية لكليهما. إلاّ أن الأمور ازدادت تعقيداً بالنسبة إليها لأنها زادت سحره لا سيّما وهما يرقصان.

إنه لا يدرك تأثيره فيها كما حدثت نفسها بثقة لكن وجودها بين ذراعيه وتنشقها عطره جعلاها تخطىء مراراً في الخطوات الإيقاعية فعزت الأمر إلى كاحلها المصاب.

كان الوقت متأخراً عندما أقلّها إلى المنزل فجلست قربه في سيارة الأجرة حيث أحاطها بذراعه وأراحت رأسها على كتفه. ومع اقترابهما من الشقة، تلاشى مفعول الموسيقى والجو الهادىء.

عندما وصلت السيارة إلى شقتها، فتح لها كينغسلي الباب وأعانها

على الخروج ثم انحنى ليتحدث إلى السائق من خلال النافذة طالباً منه الإنتظار. لن يدخل! انتفض قلبها بوحشية، ولم تعرف ما إذا أراحها هذا أم خيّب أملها... لعلها شعرت بمزيج من الاثنين معاً.

أمسك بذراعها ورافقها إلى الباب ووقف قربها حتى فتحته. عندما همّت بتوديعه، دفعها إلى الداخل وأخذها بين ذراعيه معانقاً إياها بعنف. دغدغت رائحته حواسها فتعلقت به وبادلته العناق.

وفجأة، شعرت به يبتعد عنها برفق فيما يده تبعد خصلة شعر عن وجهها. قال بلطف: «علي الذهاب».

شبكت يديها على صدرها لتجنُّب مناداته وقالت: «أجل، أعلم».

همس بصوت أجش: «سأتصل بك. موافقة؟».

ـ حسناً.

حدّقت إليه بعينين متسعتين. عانقها مرة أخرى فجاهدت لتمنع نفسها من الالتصاق به. ثمة ما يحدث بينهما، شيء لا يسعها التحكم فيه ما أخافها. لمس وجنتها مودّعاً وفتح الباب متوجهاً إلى سيارة الأجرة فيما وقفت عند قمة السلّم تحدّق إليه وقد غدا وجهها شاحباً كالأموات. كان الليل ساكناً لا يعكّره سوى هدير سيارة في آخر الشارع وأخرى أمام المنزل. لم تعتقد يوماً أنها ستشعر بمثل هذه الوحدة في حياتها.

استدار ورفع يده مودعاً قبل أن يصعد إلى السيارة فرفعت يدها باقتضاب ثم انزلتها إلى جانبها فيما أقلعت سيارة الأجرة مبتعدة. راقبتها حتى بلغت زاوية الشارع واختفت عن الأنظار. لكن حتى بعد رحيله، لم تغلق الباب بل بقيت تحدق إلى الشارع الفارغ. ودت لو تبكي من دون أن تعرف سبب هذه الرغبة.

دخلت وأوصدت الباب خلفها.

شكلت تلك الأمسية انطلاقة للمزيد من النزهات في الأسابيع التالية أثناء وجود كينغسلي في انكلترا. في عطلات الاسبوع، كانا يتنزهان في هايد بارك أو يستقلان مركباً في نهر التايمز أو يخرجان لتناول شراب ما أو

في نزهة أو يزوران معاً بيث وجورج. وكانا مستمتعين عموماً برفقة بعضهما البعض.

استمرت موجة الحر وسرعان ما بدأت الصحف تتكلم عن الحرائق وأزمة المياه غير أن المنتزهات كانت تعج بالأطفال السعداء وبأمهاتهم اليافعات اللواتي لوحتهنّ أشعة الشمس. بدا الجميع مبتسماً على الدوام باستثناء روزالي التي ما انفكت تنبه نفسها إلى أن علاقتها العابرة بكينغسلي لن تدوم كحال الطقس. وشبهت ما تمر به بمرحلة الانعاش. كانت تدرك أن كينغسلي يريد المزيد منها وبدأ الشك يراودها بأن ما يجمعهما ليس انجذاباً وحسب، ولكن كلما تساءلت عما ستفعله لو ثبتت صحة شكوكها كانت تشعر بالارتباك فتحاول تناسي الموضوع.

لقد عرفت مايلز مدة خمسة أشهر قبل الزواج وكادت تقسم في يوم زفافها على أن زوجها الجديد لا يخبىء لها أي مفاجآت باستثناء تلك الجميلة منها. أما كينغسلي فعرفته لمدة أقصر ولكنها وجدت نفسها مراراً تصدر عليه أحكاماً مسبقة فيثبت لها لاحقاً مدى خطئها.

تساءلت كما إذا كان كينغسلي ينتظر الفرصة المناسبة لما يعتبره المرحلة التالية من علاقتهما، حتى انتهاء العمل على مشروع فندقه. فاقامة علاقة مع المشرفة التنفيذية على مشروع من مشاريعه ليس الأسلوب الذي يبعه في العادة كما فكرت بمرارة. إنه من الرجال الذين نادراً ما يمزجون العمل بالمتعة ويفضّلون الفصل بين حياتهم المهنية والعاطفية.

على أيّ حال، لم يحاول الضغط عليها، هذا ما أقرت به مرغمة. في بعض الأحيان، كان يعانقها بشغف مذهل وفي أحيان أخرى كان يظهر لها الدفء والرقة، ما قد يشكل استراتيجية ذكية من قبله. لو لم يتنازل ويخضع لشروطها لخسر حتماً. لكن وعلى الرغم من تفكيرها في المسألة يومياً ومحاولتها تحديد الأسباب التي تحتّم عليها إنهاء العلاقة عاجلاً ام آجلاً، كانت دائماً تقول في سرها إن موعداً آخر لن يضيرها، وهكذا كان...

ومع نهاية شهر تموز وفي صباح أحد أيام السبت، وصلت بيث إلى منزلها فأدركت روزالي على الفور أن ثمة خطب ما. لقد تلقى جورج عرضاً لوظيفة رائعة في جامعة راقية في نيوزلندا. ومع رحيل الأولاد، شعر بأنه العمل الملائم في الوقت المناسب لكن هذا يعني الانتقال إلى مكان آخر.

كانت بيثّ ترغب بالذهاب من جهة لئلا تفسد على جورج الفرصة، لكنها من جهة أخرى، تخشى ترك كل الذين عرفتهم ومواجهة حياة جديدة في سن متقدمة.

عانقتها روزالي وراحتا تناقشان الأمر. وبعد ساعة أو أكثر، غادرت بيث أكثر سعادة وقد تبينت الجانب الإيجابي للرحيل.

ستجد بيث قريباً «حياة» جديدة بفضل قدرتها على انشاء الصداقات غير أن روزالي ستشتاق لخالتها كثيراً.

أوصدت روزالي الباب وراحت تحدّق إلى كومة الأوراق التي أحضرتها من المكتب مساء أمس. لقد وافق كينغسلي بعد استشارة مهندسه والبنّاء الذي وظّفه على بدء العمل على أحد التصاميم. زارت الورش بصورة اعتيادية لكنها كانت مشغولة أيضاً بمهام لذا لم يكن لديها متسع من الوقت في الأيام القليلة الماضية. ولعل السبب يعود لقضائها جزءاً من وقت فراغها مع كينغسلي، هذا الوقت الذي كان العمل يشغله سابقاً.

عبست وهي تجمع الصحون الفارغة والأكواب وحملتها إلى المطبخ حيث أعدت لنفسها فنجاناً آخر من القهوة قبل أن تعاود العمل مجدداً. بعد عشرين دقيقة، رنّ جرس الباب ثانية فرفعت سماعة الهاتف الداخلي: «نعم؟».

شعرت بأن نهارها سيكون محموماً. ستحضر عرضاً مسرحياً مع كينغسلي الليلة وسيتناولان العشاء، لذا رغبت في العمل بجد في الساعات المتبقية. كانت تتوق للحفاظ على مكانتها في العمل وذلك بهدف التمسّك

بصفاء ذهنها.

ـ أنا كينغسلي يا روزي. أحتاج إلى التحدث إليك.

عندما فتحت الباب الأمامي، فوجئت برؤيته يحمل حقيبته وسألت بسرعة: «هل ثمة خطب؟».

اومأ قبل أن يعانقها على عجل ثم قال بهدوء:

ـ يجب أن أستقل الطائرة لمسألة طارئة لذا اعتقد أن موعدنا قد أُلغي الليلة.

أخفت خيبة أملها سائلة: «هل من مشكلة في الفندق؟».

هز رأسه نافياً: «تعرض صديقي الكس لحادث».

وأضاف باقتضاب: «لقد كسر عنقه وليسوا متأكدين من مدى خطورة الإصابة وهو عالق في مستشفى في جمايكا حيث كان يمضي شهر العسل. أنا أعرف زوجته بقدر ما أعرفه وهي لا أسرة لديها. طفلة مسكينة! لقد اتصلت بي أمس وهي في حالٍ هستيرية لذا سأطير اليوم إليها».

حدّقت إليه مرعوبة: «هذا مروع».

ـ لطالما كان آلكس وعائلته سنداً لي عندما تزوج أبي ثانية وقد ساعدوني على تجاوز الصعوبات.

قادته روزالي إلى غرفة الجلوس وجلست قربه على الأريكة وأخذت يده فيما كان يتكلم: «إنه رجل طيب روزي ستحبينه فهو شغوف بالرياضة مهما كان نوعها، لذا سيفضّل أن يموت على أن يُشل».

ـ لن تصل الأمور إلى هذا الحد.

اعتصرت يده بلطف قائلة: «يتحسن العديد من المرضى إثر حوادث مماثلة ويتوقف الأمر على مكان الكسر وحجم الأذى».

ـ اتصلت جوانا في الواحدة فجراً وعجزت عن النوم مجدداً.

سألت بنعومة: «ومتى ستغادر؟».

تمطّى متعباً: «بعد ساعات قليلة».

ـ هل أكلت؟

وعندما هز رأسه بالنفي أجابت: «إذن، سنحتسي في البداية فنجان القهوة. وبعدئذٍ، سأحضر لك الطعام، اتفقنا؟».

حاول ردعها عندما نهضت فوضع يده على ذراعها وقال بصوت أجش: «شكراً... لا أريد مغادرتك... ليس هكذا».

وفجأة، لم يعد الوقت مناسباً للإدعاء فارتدت هامسة: «وأنا لا أريدك أن تذهب».

جذبها إليه وعانقها حتى شُل تفكيرها وراحت ترتعش رغماً عنها بسبب شوقها إليه.

تعلقت به، فيما كان يقول: «أنت جميلة روزي... جميلة جداً من الخارج ومن الداخل. لكن يبدو أنك لا تعين ذلك وهذا ما أجده رائعاً».

ابتعد عنها قليلاً وراح ينظر إلى وجهها المحمرّ فيما كرّر قوله: «جميلة جداً».

فتحت عينيها متأملةً لمعان عينيه الزرقاوين اللتين بدتا سوداوين بفعل مشاعره.

همس: «لا أريد علاقة عابرة معك. أريد أكثر من ذلك. لقد أغرمت بك يا روزي لكني كنت أحارب هذا الشعور منذ البدء. أدركت الحقيقة في عمق أعماقي. كنت آمل أن تثبتي لي خطأي وأن تقولي أو تفعلي ما يبرهن لي عدم صدق الصورة التي رسمتها لك لكن هذا لم يحصل...».

جمدت بين ذراعيه واتسعت عيناها إذ لم تجر الأمور كما يفترض بها، فكينغسلي لا يحب التعقيدات وهو يقيم العلاقة حتى يملّ فينصرف كما وصف نفسه.

أردف بنعومة وقد لاحظ رد فعلها: «ألا تصدقيني روزي؟».

مرّ وقت طويل قبل أن ترد ثم تناهى صوتها هامساً: «لا أعلم».

تأمل وجهها طويلاً، فيما كانت عيناه الزرقاوان تبحثان عن شيء ما ثم استقام في جلسته وقال ببساطة: «أنت لا تبادليني الشعور، أليس كذلك؟».

ازدردت بريقها لكنها عجزت عن النظر إليه فقالت وهي تزفر بعمق:

ـ لا اعرف حقيقة مشاعري فلقد حدثت الأمور بصورة فجائية.

ـ ليس من وجهة نظري.

استشفت نبرة غريبة في صوته حين أضاف: «في الماضي، كنت أواعد المئات في هذا الوقت القصير».

نجحت في أن تقول: «إذن... كيف تعرف أنك تشعر نحوي بشيء وأن الأمر ليس مجرد زوبعة؟».

راح يحدق إليها ثم سألها: «هل تودين فعلاً ان تعرفي؟».

نظرت إليه فنبرة صوته أرغمتها على الإطاعة وقالت: «نعم».

إلا أنها لم تبدُ متأكدة من أنها تريد معرفة الحقيقة.

قال ببساطة: «لأنني لم أرغب يوماً في الاستيقاظ إلى جانب الأخريات لبقية حياتي».

ساد صمت مطبق ولكنها عجزت عن الكلام فسألها بهدوء: «ما الذي يجعلك تخافين مني روزي؟».

كان قلبها يخفق بسرعة إذ لا يفترض بهذا أن يحصل، لا سيّما وأن صديقه مريض جداً ويتعين عليه الابتعاد آلاف الأميال. لم يكن الأمر منصفاً له: «أنا... أنا لم أقل إنني أخشاك».

ـ ويجب عليك ألاّ تفعلي

و ضحك باقتضاب مضيفاً: «لا أفهم صدقاً لماذا. في البدء، اعتقدت أنه انجذاب جسدي خصوصاً وأنك لم تواعدي أحداً منذ مدة طويلة لكن الأمور سارت على ما يرام بيننا، أليس كذلك؟».

أجابت: «أعتقد ذلك».

ـ لذا تريثت قليلاً وسعيت أن أبرهن لك بكافة الوسائل أنني استطيع حرمان نفسي من إقامة أي علاقة وأنني لن أؤذيك وأن عليك الاسترخاء وأن تدعي نفسك تتعرفين إليّ عن كثب...».

توقف فجأة عن الكلام ومرّر يده في شعره، ثم أضاف: «شغلت

تفكيري طوال الطريق».

تصلّب جسمها وبدأ رأسها يدور. سألها بنعومة: «إذن... ما الأمر روزي؟ لِمَ لا تعرفين حقيقة شعورك؟ هل يتعلق الأمر بزوجك السابق؟ ما الذي فعله بك؟».

عضت على شفتها بقوة إذ لم يعد بسعها التفكير بوضوح. تمنت لو تستطيع تحليل مشاعرها لكنها عجزت عن الاحتكام إلى المنطق. لقد طغت مشاعرها على عقلها وشلت قدرتها على الحكم على الأمور. كيف تستطيع إفهام كينغسلي حقيقتها فيما تعجز هي نفسها عن إدراكها؟ لكن يجب عليها أن تحاول فهي تدين له بذلك على الأقل، بعد كل ما قاله.

أخذت نفساً عميقاً وقالت بصوت مرتعش:

ـ مايلز... لم يكن طبيعياً.

وساد الصمت ثم سأل بلطف شديد: «من أي ناحية؟».

ـ أنا... هو.

وضاع صوتها، ثم حاولت الكلام: «أنا... أريد أن أشرح الأمور منذ بدايتها».

وبدأت تروي قصتها: «التقيته في سنتي الجامعية الأولى وحسبته رائعاً. كان جذاباً مرحاً يمثل كل ما تتمناه أي فتاة. أعتقد أنه خدعني. كانت عائلته ثرية وهو ولد مدلل يملك كل ما يتمناه. أعتقد أن كلامي يجعلني سطحية بنظرك».

ردّ بنعومة: «لا، مجرد فتاة في الثامنة عشرة واقعة في الحب للمرة الأولى».

نظرت إليه مذهولة فألح عليها برفق: «و...؟».

ـ وكان يريدني. لم... لم يسبق لي أن أقمت علاقة من قبل وأعتقد أنه رأى في الأمر تحدياً.

نظر كينغسلي إلى وجهها الجذاب المحاط بستارة مخملية كستنائية اللون فانقبضت معدته. هذا الرجل يستحق الشنق لما فعله مهما كان.

أرغمت نفسها على الجلوس مستقيمة وهي تعي أنها كانت تتململ وأكملت:

ـ على أيّ حال، تزوجنا لأنني... لم أرضَ بإقامة علاقة من دون زواج. كان مرحاً وساحراً لكنه تغيّر بين ليلة وضحاها. هو...

أطبقت عينيها بقوة عاجزة عن النظر إليه، ثم أردفت: «أصبح عنيفاً لأتفه الأمور لكن حين نكون وحيدين فقط. الكل اعتقد أنه الزوج المثالي وكنت يافعة وظننت أن الخطأ خطأي لذا حاولت التخفيف عنه. لكن عندما أفكر في المسألة الآن، أعتقد أن ذلك جعله أكثر عنفاً».

ردّ بعبوس وقد ثارت ثائرته: «هل ضربك؟».

أومأت موضحة: «في أماكن لا تظهر للعيان في الغالب. كان ذكياً من هذه الناحية. وبعد الطلاق، اتصلت بي إحدى خالاته، وهي الوحيدة التي اتصلت بي، وأخبرتني أنه لطالما كان عنيفاً منذ طفولته لكن أهله كانوا يختلقون له الأعذار. لم يكن متزناً كما أخبرتني وقد ورث ذلك عن جده الذي توفي في مستشفى للأمراض النفسية».

كانت ترتعش لكنها عجزت عن التماسك فهذه هي المرة الأولى التي تتحدث فيها عن مايلز ما سبب لها الغثيان.

ردّ بحذر وقد لاحظ من وجهها الشاحب وجسدها المرتعش أنها شارفت على الإنهيار:

ـ وما الذي جعلك تتركينه في النهاية؟ أفترض أنك أنت من هجره؟

همست روزالي: «وجدته في السرير مع امرأة أخرى. وعندما صفعني، عاملته بالمثل».

كانت تسترجع صوت ملابسها تتمزق وهي تقول: «لقد جُنَّ جنونه، حاول أن...».

لم تستطع إكمال الحديث لكنه فهم. فهزت رأسها مغمضة العينين وقالت:

ـ خلع جارنا الباب وخلصني منه.

أحاطها بذراعيه وجذبها نحوه لكنها عجزت عن الاسترخاء، فمشاعر العار والإذلال جعلتها متصلبة ومتوترة. لو لم يهب روبرت لنجدتها، لاعتدى مايلز عليها ذاك المساء فقد كانت عاجزة عن الحراك.

أظهر روبرت أنه صديق مخلص إذ لم يطلع أحداً على ما حدث لأحد باستثناء محاميها.

بدت كلماته عنيفة حين سألها: «وأين هو الآن؟».

ـ تحطمت سيارته فقُتِل مع الفتاة التي كان يخرج معها منذ بعض الوقت.

وأضافت مرتعشة: «راسلتني خالته وأخبرتني بذلك».

تأوه.

ـ مؤسف. لقد قضى بسرعة.

ردّت بغموض متسائلة لما لم ترتاح بعد أن أخبرته بالأمر: «ربما!».

ألم تذكر الكتب أن المرء يشعر بتحسن عندما يفصح عن مكنونات صدره.

قال كينغسلي بلطف: «إذن، إنه السبب الذي جعلك تنزوين عن الناس وتصبحين استقلالية. أستطيع تفهم ذلك فعلاً ولكن لا تدعيه يهزمك. فالوضع مختلف، ونحن مختلفان. أنت تعين ذلك، أليس كذلك؟».

تحركت بعيداً عنه. لقد استخدم مايلز هذه الكلمات عندما طلب يدها للزواج. قال لها وهو يبتسم بوجهه الوسيم وعينيه البنيتين القاتمتين:

ـ نحن نختلف عن الآخرين. فنحن نصفان وستغدو الحياة كاملة من الآن فصاعداً... أعدك بذلك.

شبكت يديها معاً وقد سرى التوتر في أوصالها وقالت وكأنها تحدّث نفسها: «كان كلامه مثل كلامك».

ـ مثل ماذا؟.

هزت رأسها وقالت: «لا يهم».

رد بهدوء محاولاً الاسترخاء:

ـ بل يهمني. لا احب أن أُقارن به روزي.

ـ لم أقصد...

و ضاع صوتها... لعلها عنت ذلك. ثمة أوجه تشابه كثيرة بينهما، ولا يقتصر الأمر على الجاذبية والثراء بل قوة الشخصية أيضاً. لم تتصوّر يوماً لا حتى في أسوأ كوابيسها أن يكون مايلز شريراً ولعوباً تحت قناع البراءة. كيف يمكنها أن تتأكد من حقيقة كينغسلي؟

ـ أنا لست ذلك النذل الذي تزوجته يا روزي، كما أني أحبك.

ـ عندما أخبرتني عن ماريا، قلت إن الحب مفهوم ممتع لكنه لا ينطبق على العالم الحقيقي.

وأكملت بضعف: «سيحل الشك وقلة الثقة عاجلاً أم آجلاً بين الطرفين على حد قولك».

كان جزء منه يتوق إلى هزها لتغيير نمط تفكيرها فيما يتوق الجزء الآخر منه إلى إبعاد الأذى عنها. لقد شعر بالحرمان واليأس لأنها وضعته في خانة زوجها السابق وبدا ذلك في صوته حين قال:

ـ كنت أتكلم من دون اقتناع كما أن الرجال يغيرون رأيهم باستمرار فهذه ليست من شيم النساء فقط. أريد أن أبقى معك روزي إلى الأبد.

ردّت بإصرار وقد رفعت ذقنها وحدّقت إليه مباشرة:

ـ وإذا غيرت رأيك مجدداً... فماذا سنفعل؟

لقد قال لها مايلز أيضا إنها أوقعت به وأفسدت حياته، وإنها نكرة، مجرد طفيلية غير قادرة على وهب الحب وعلى تلقيه.

لقد قاومت في السنوات العشر الأخيرة لئلا تسمح لكلامه هذا بالتغلغل في فكرها فيفسد رأيها بنفسها. ولا يسعها تحمل هذه التجربة مجدداً:

ـ ماذا لو اتضح لك أننا لم نخلق لنعيش سوياً؟ هل ستظن أنني أوقعت بك وستلومني لأنك تعرّفت إليّ يوماً؟ هل ستقول إنني ألاحقك في كل

مكان وإنني أخنقك فلا تستطيع التنفس حتى؟

قاطعها كينغسلي بنعومة: «هل فعل ذلك، هل قال لك كل تلك الأمور؟».

ارجعت رأسها إلى الوراء في محاولة لحماية نفسها.

ـ لا يهم. ما يهمني هو عدم رغبتي في التورط. آسفة ولكنني لا أريد. كنت صادقة معك منذ البداية.

وافق ببطء: «أجل، كنت صادقة. إذن، إلى أين ستصل الآن؟».

حدّقت إليه. لم يسبق لها أن شعرت بمثل هذه الكآبة في حياتها.

ـ لن نصل إلى أي مكان.

فردّ على الفور: «لن أقبل بذلك».

اتسعت عيناها إذ توقعت منه أن يثور وأن يرحل: «كينغسلي، أنا أعني ما قلته».

ـ بل تظنين ذلك.

كان حريصاً على عدم لمسها فهو لا يريد تعقيد الأمور أكثر فيما لو اخذها بين ذراعيه وعانقها حتى توافق على كلامه. لقد كان الامر جاداً فأضاف: «لا أظن أنك تعنين ما قلته».

وأطبق عينيه وأسند ظهره إلى الأريكة مجدداً ثم تمطى لحمل نفسه على الاسترخاء. إنجذبت عينا روزالي إلى ذرات الغبار التي تتراقص تحت أشعة الشمس فوق رأسه. وقفت حائرة شاعرة بألم في حنجرتها وبانقباض في معدتها. وجدت أنها لا تجد ما تقوله. لقد عرفت عنه الكثير في الأشهر الأخيرة انطلاقاً من ملاحظاتها الشخصية أو من كلام زملائه في العمل عن سمعته فعلمت أن كينغسلي لا يتحلى بالكثير من الصبر. لذا، فهذا التصرّف لا يتماشى مع شخصيته، على الأقل كما عرفته، ما أعادها إلى السؤال: كيف عساها تتأكد من أي شيء يتعلق به؟

كانت نبرة صوته عميقة وهو يقول: «هل ذكر أحد ما القهوة والغداء؟».

أعادها صوته إلى أرض الواقع فاستدارت مبتعدة نحو المطبخ وساقاها ترتجفان. لم تستطع أن تصدّق أنها أطلعت كينغسلي من دون الناس كلهم على قصة مايلز وزواجها. ما الذي يفكر فيه الآن؟ وقفت أمام المجلى واشتدت قبضتها على البورسلين حتى ابيضت أصابعها. هل يظن أنها مثيرة للشفقة وغبية؟ هل هو مشمئز منها تماماً مثل مايلز؟ لِمَ؟ لِمَ أخبرته؟ أطبقت جفنيها بقوة محاولة منع الدموع الساخنة من الانحدار.

ـ لا بأس.

لم تلاحظ أنه لحق بها حتى أخذها بين ذراعيه فعجزت عن المقاومة. قال وهو يشدها إلى صدره الصلب: «أدرك أن إطلاعي على الأمر تطلب شجاعة كبيرة منك، لكنه رحل. ثمة رجال مثله في كل جيل، إنهم أنذال يدّعون اللطف وحسن الأخلاق. يعانون من عقدة نقص فيعوّضون عن ذلك بالتصرف بوحشية. أنا سعيد بوفاته لأنه وفّر علي عناء ملاحقته وجعله ينال ما يستحق. أعلم أنك تذكرت المأساة حين أطلعتني عليها وأنك فتحت جرحَك لكن الجروح قابلة للشفاء وأعتقد أنك ستكونين بحال أفضل عندما تداوينها مهما بلغت حدة الألم».

لم يكن الأمر بهذه البساطة. فالأمر يتعدى زواجها لكنها لم تدرك ذلك حتى الآن. موت أمها القاسي وانتحار والدها وسنوات الحيرة التي أمضتها وهي تتساءل عما إذا ساهمت بوفاة امها بمجرد ولادتها. ولاحقاً عندما اعتقدت أن مايلز كان استجابة لصلواتها وفتى أحلامها وأنها وجدت من يحبها، جاء كابوس زواجها ونهايته الدرامية.

إنها فوضى، ولا تتعلق المشكلة بكينغسلي بل بها. انسحبت بعيداً عنه وأبعدت شعرها عن وجهها ثم قالت بهدوء: «سأحضّر الطعام وأجلب لك القهوة عندما تجهز».

لم يحاول التمسك بها ولم يفه بكلمة بل استدار وغادر المطبخ بعد أن تأملت عيناه وجهها الشاحب للحظة.

تناولا الطعام على المائدة الخشبية الموضوعة في زاوية غرفة

الجلوس، فاستعادت ذكرى زيارته الأولى إلى منزلها، حين أوصلها من المستشفى.

كانت متأكدة من استحالة نشوء أي علاقة بينهما. هذه الفكرة سببت لها ضيقاً في حنجرتها فاضطرت إلى إرغام نفسها على تناول الطعام فيما كل قضمة توشك على خنقها.

نظر إلى ساعته عندما انتهيا وقال بصوت خالٍ من أيّ تعبير: «هل سترافقينني إلى المطار؟».

حدّقت إليه وقالت بصوت ضعيف: «هل تريدني معك بعد كل قلته لك؟».

حملت نبرة صوته شيئاً من التوتر وهو يقول: «بالطبع. أي سؤال غبي هو هذا؟».

كانت لتبتسم لو أنها قادرة على ذلك، فردّه يشبهه تماماً وقد أثر فيها بقوة. لقد علق قلبها في شباكه وعليها التخلص من هذه الشباك، إذ لا يمكنها أن تبادله الحب. فهي تحتاج لأن تتحكم بكل جزء من حياتها وسيحرمها الحب من ذلك كما سيمنح الطرف الآخر سلطة عليها.

ستذهب معه إلى المطار ولن تقول أي شي قبل أن يرحل، ليس في ظل الوضع الذي ينتظره في جامايكا. لكنها النهاية. لا بد أن تكون النهاية. لكنه لا يعلم ذلك بعد.

***

٩ ـ العالم يتهاوى

أمسك كينغسلي يدها وهما في سيارة الأجرة التي تقلّهما إلى المطار فتركته يقوم بذلك. لم يتكلما ولكن بقي الكثير من الكلام عالقاً بينهما وقد شعرت روزالي بذلك. كانت تعرفه حق المعرفة لتدرك أنه يتظاهر بالبرود شأنها تماماً.

كان المطار يغص بالناس. وبعدما سجل كينغسلي حقائبه، أمسك ذراعها وشقا طريقهما إلى أحد المقاهي، حيث طلب فنجاني قهوة مع أنهما لا يرغبان في ذلك. وما إن جلسا على تلك الكراسي غير المريحة حتى أخذ يديها بين يديه وقال متفاجئاً: «يداك باردتان!».

هزت كتفيها بلا مبالاة إذ سرى البرد في أعماقها منذ اتخذت قرارها. ردّت بخفة:

ـ يبدو أن لديّ مكيفاً في داخلي.

ضاقت عينا كينغسلي ونظر إليها مطوّلاً ورد بهدوء: «أنوي العودة في نهاية الأسبوع. فما رأيك بالعشاء مساء الجمعة؟».

ذكّرته بسرعة: «قد لا تعود. لنترك القرار إلى وقت لاحق».

ـ لا، فلنقرّر الآن.

فجأة، بدا لها أنهما يناقشان ما هو أكثر من عشاء. حدقت إليه فبدا قوياً وصلباً، رجلاً يتعامل مع أي مشكلة تواجهه ويعالجها وفقاً لأسلوبه الخاص. إنه رجل لا يخضع أبداً ويريد دائماً أن تسير الأمور وفقاً لهواه. إنه يسعى دائماً إلى الربح ويرفض الخسارة.

لم تقل شيئاً. راحت تبكي بصمت فانهمرت الدموع على وجنتيها وحملتها صراحته على الإقرار بما حاولت إخفاءه لأسابيع. إنها تحبه. وقد أحبته منذ أيام، وأسابيع، وأشهر، منذ الازل. ولهذا بدت لها فكرة الاستسلام له مرعبة. لقد أحبته أكثر مما أحبّت مايلز يوماً، وهذا يعني أن تأثيره فيها كبير. يجب ألا يعرف، أبداً.

لقد توقف عن الكلام وكان يتنفس بصعوبة وشعرت بأنه ينظر إليها مع انها لم ترفع رأسها نحوه. وبعد لحظة، شعرت به يضع محرمة بيضاء بين يديها قائلاً: «لا تبكي».

كان صوته أجش ومتألماً، وهو يضيف: «تباً. آخر ما أريده هو جعلك تبكين. تناولي قهوتك».

مسحت وجهها وشربت القهوة التي غدت من دون طعم ثم رفعت عينيها إليه واثقة من أنه ينتظر كلامها وقالت مرتجفة: «لن ينجح الأمر بيننا أبداً يا كينغسلي. سأفسد أي مشاعر تشعر بها نحوي إذ لا يمكنني أن أصبح كما ترغبني أن أكون. عندما فعل مايلز ما فعله...»

توقفت محتارة في تفسير ما لا يمكن تفسيره ثم أنهت كلامها ببطء:

ـ شيء ما مات في داخلي، شيء لا استطيع استرجاعه.

قال مشدداً على كلامه: «لا أصدق ذلك. أحبك وأود الزواج منك وانجاب أولاد كما أريد أن أشيخ معك. أنا لست مايلز. لست سوى نفسي وقد سمحت لك بالتعرف على حقيقتي، على هويتي. ينبغي لهذا الأمر ان يعني لك شيئاً».

سلخت نظرها عنه معترفة بغبائها لأنها رافقته. لكنها عرفت السبب الذي دفعها إلى ذلك. لقد رغبت في مرافقته ولو للمرة الأخيرة فكل دقيقة، كل ثانية ثمينة، وهما يقضيانها في الجدال. قالت ما تفكر فيه عالياً:

ـ لا أريد أن نتشاجر إذ ليس هناك امامنا وقت.

ردّ بعبوس: «لم أتطرق يوماً إلى موضوع وصرفت النظر عنه فكيف إذا

كان الموضوع حيوياً ويتعلّق بحياتي. سأستقل الطائرة التالية إذا استوجب الأمر».

ارتجفت من الداخل إذ لم يعد بإمكانها تحمل المزيد. شعرت بنفسها تتمزق فهمست منكسرة:

ـ لا تكن سخيفاً فصديقك ينتظرك.

وبدا صوته هادئاً على نحو مفاجىء: «أنت لا تدركين الحقيقة... أنت لا تملكين أدنى فكرة عما تعنينه لي».

كادت تقول إنها لا تريد معرفة ذلك لكنها عدلت عن ذلك.

ـ هذا الوضع صعب بما يكفي. ألا تستطيع تقبّل فكرة أنني أعني ما قلته وتدعني وشأني؟ إنه لمصلحتنا وستعي ذلك يوماً.

ـ تباً لذلك!

ودنا منها وعانقها بشغف جليّ.

أبعدت رأسها عنه والرعب يتملكها صائحة: «لا!».

لا يسعها أن تضعف الآن فهي تشعر دائماً بالوهن عندما يقترب منها. يجب أن ينتهي كل شيء الآن تحديداً. سيغيب بضعة أيام ما سيمنحه الوقت للتفكير في الأمور وسيتبيّن أنها محقة. فلا مستقبل امامهما. إنها تعشقه لذلك ترى استحالة أن يجمعهما المستقبل لكنها لم تستطع قول ذلك فهو لن يتفهم الأمر.

لكن يجب ألا تضعف. إنه رائع، ذكي وعفوي لكن...

ـ لا أريد ذلك... لا أريدك.

نظر إليها مباشرة وبدت نظرته الزرقاء ثاقبة ومؤلمة عندما قال: «انت لا تعنين ذلك».

أومأت ايجاباً وقد طأطأت رأسها كما لو أنه مربوط بقيود نحو الأسفل.

ـ بلى... أنا أعني ذلك وعليك أن تتخطى الأمر وتذهب. ستفوتك الطائرة.

أطلق سيلاً من الشتائم ما صدم رجلاً يمر قربهما.

قالت يائسة: «لا أستطيع الاستمرار معك كينغسلي. هل هذا واضح كفاية؟ أريد أن تبقى الامور على حالها كما كانت قبل أن ألتقي بك. يستطيع مايك أو أي كان أن يتولى المشروع من الآن فصاعداً».

ـ لا يهمني مايك أو أي شخص آخر. ينص العقد عليك.

ـ إذن، سأستقيل ويمكنك مقاضاتي إذا شئت.

حدّقت إليه والتحدي والرعب يعلوان قسماتها.

بقي صامتاً لوقت بدا لها طويلاً جداً وقد اشتعل وجهه غضباً فظنت أنه سيشطرها نصفين، لكنه قال في النهاية:

ـ لن تستقيلي من عملك، ليس بسببي. دعي مايك يتولى مشروعي إذا شئت أو أي شخص آخر. لا أهتم فعلاً.

ثم نهض ببطء وقد اسودّ وجهه وقال: «الوداع روزي».

ـ وداعاً.

وخطر لها أن لحظة انفصالهما يجب ألا تحصل في محيط يعج بالناس حتماً.

نظر إليها للمرة الأخيرة لكنه لم يفه بكلمة ثم أومأ برأسه على عجل واستدار مبتعداً بهدوء وصدى خطواته المتزنة يدوّي وهو يخرج من المقهى... لا بل من حياتها. وتركته يرحل.

* * *

ـ ماذا فعلت؟

رفت عينا روزالي لنبرة بيث الحادة ورددت ببلاهة: «انفصلت عن كينغسلي. انتهى الأمر».

قالت بيث مضطربة: «لكنه يعشقك وأيّ منا يستطيع رؤية ذلك. لا تقولي لي إن امرأة أخرى تمكنت منه؟ لا أصدق ذلك».

ردّت روزالي بحذر: «لا تصدقي لأنه لم يحصل. لقد شعرنا بأننا لسنا مناسبين لبعضنا، هذا كل ما في الأمر».

نظرت بيث إلى عيني روزالي المتورمتين: «نحن؟ وعيناك المتورمتان؟».

احتجت روزالي: «بيث، صدقيني. لم يتصرف كينغسلي بسوء وما من امرأة أخرى، ليس بعد على أيّ حال. لقد غدا الأمر جدياً، هذا كل شيء...».

وبان الرعب في صوت بيث: «آه، لي... أنت لم تفعلي...!».

ردّت روزالي بعدم ارتياح: «أفعل ماذا؟».

ـ أنت لم ترفضيه؟ ليس كينغسلي، الرجل الأكثر وسامة بين من التقيتهم ومن ستلتقينهم في حياتك.

أعقب كلامها صمت مؤقت ثم أضافت بيث:

ـ لقد فعلت ذلك، أليس كذلك؟ وها أنت نادمة على فعلتك.

فهمت روزالي للمرة الأولى في حياتها لما كان أولاد بيث متشوقين لمغادرة المنزل. فثمة شيء مزعج في الشخص المحق دوماً.

ردّت روزالي ببساطة: «أنا لست نادمة فعلاً فهذا هو الحل الأمثل لنا لأنه يريد أكثر مما استطيع إعطاءه».

ـ علاقة من دون التزامات؟ هذا تصرّف نموذجي من الرجال، أليس كذلك؟

ـ ليس بالضبط.

ـ يريدك أن تنتقلي للعيش معه؟ إنه خطأ فادح! ستخسرين استقلاليتك بعكسه...

ـ بيث!

بذلت مجهوداً كبيراً لتحافظ على صبرها وحارت كيف تصوغ الجملة:

ـ إنه يرغب في... لقد تحدث عن الزواج.

وأخيراً نجحت في قولها فصاحت بيث من أعماقها: «لا!... ورفضت؟ لي، أمجنونة أنت؟؟».

ربما لم تكن فكرة الحضور إلى هنا اليوم سديدة لكنها لم تكن تستطيع مواجهة أصدقائها وهي على هذا الحال كما لم تستطع المكوث في الشقة أيضاً.

ردت من دون أن تبتسم:

ـ ربما... نعم على الأرجح. إنه يظنني مجنونة على أيّ حال ولم يكن انفصالنا حبياً.

ارتعش صوتها عندما تلفظت بالكلمات الأخيرة، فقامت بيث من كرسيها وأحسنت صنيعاً باحتضانها بقوة. انفجرتا معاً بالبكاء ما حمل جورج الذي خرج للتو من مشغله على العودة إليه. أخبرت روزالي بيث الحقيقة الكاملة وناقشتا مسألة خوفها وشكوكها للمرة الثانية.

لم تصلا إلى حل شاف مع انقضاء النهار، لكن روزالي لم يسعها إلا الإقرار بأنها شعرت بتحسن لأنها ناقشت الأزمة برمتها مع خالتها.

وجدت صعوبة في الكلام عن مايلز وعما حدث بالضبط خلال زواجهما لكن الأمر لم يكن شاقاً كما تصوّرت لأن اطلاع كينغسلي على بعض الحقائق كسر الحاجز النفسي الذي أقامته في السابق.

قالت بيث: «خلال مدة ارتباطكما، كنا بالكاد نراك لأنه كان يهتم فقط بأصدقائه وبمصالحه، أليس كذلك؟».

أومأت روزالي موافقة: «أعتقد ذلك».

كان مايلز يشبه والدها من هذه الناحية، لكن دافع أبيها كان غيرة مشوشة مريضة مصدرها الحب أما دوافع مايلز فأنانية صرفة.

ـ لم ألاحظ الأمر في البداية لأن أصدقائنا كانوا مشتركين.

ـ لكن كينغسلي لا يشبهه وأنت تعلمين ذلك، أليس كذلك؟ لن يستعمل العنف ولا القوة وأنا أعلم ذلك.

اومأت روزي وهزت رأسها بتمهل: «وأنا اعلم ذلك أيضاً لكن كل ما في الأمر أنني... أعتقد أنني خائفة من فكرة الزواج ثانية وإعطاء فرصة ثانية لنفسي. خلال الساعات الأربع وعشرين الماضية، رفعت السماعة

مراراً لأتصل به وأخبره أنني أحتاج إليه. فهل تعتبرين الأمر ثباتاً على موقفي؟؟».

- ربما لو تخرجين معه أكثر من دون التفكير في الزواج...؟

عانقت روزالي خالتها مجدداً وقالت بصدق: «بيث، أظنني سأشتاق إليك كثيراً ولكن لا أظن أن مسألة الزواج وحدها هي العائق مع أنها تمثل التزاماً ضخماً... أخشى أن يدرك مقدار حبي له. لطالما استغل مايلز ذلك لصالحه بعكس كينغسلي لكن عندما نكون واثقين من محبة الآخر لنا، يمكن أن نتغير.

ضاع صوتها وهي تحدق إلى خالتها: «لا أعلم كيف أشرح لك... لكن الأمر يخيفني حتى الموت».

نظرت إليها بيث للحظات طويلة ثم قالت بنعومة: «وكم تخيفك فكرة غيابه عنك؟».

أضافت بيث قبل أن تفتح روزالي فمها: «لا تجيبي الآن. فكري في الموضوع. اتفقنا».

وفكرت روزالي بالأمر على مدى ليلتين متواصلتين فتقلبت في فراشها حتى الفجر، وكانت تقلبات الطقس والعاصفة المدوية في الخارج تعززان من اضطرابها.

وفي صباح يوم الجمعة حيث كان مقرراً أن يعود كينغسلي استيقظت باكراً مع أنها لم تستطع النوم قبل الثانية صباحاً.

لقد ارتكبت أسوأ خطأ في حياتها حتى أن زواجها بمايلز بدا تافهاً مقارنة مع فعلتها مع كينغسلي. وفجأة، أدركت تماماً ما تريد. لقد اختفى مايلز من حياتها إلى الأبد، ولى من ذهنها، من قلبها ومن هذا العالم فلِمَ تراها تسمح له بإفساد حياتها للمرة الثانية؟ كانت بيث محقة ففكرة غياب كينغسلي عنها تخيفها مئات المرات أكثر من وجوده الكامل في حياتها.

لم يكن كينغسلي مايلز، فمصداقيته واستقامته وقدرته على مواجهة أي موقف لم تكن يوماً من ميزات مايلز. كان مايلز شبه رجل تحت واجهة

الوسامة والطيبة، فكيف سمحت لرجل مثله بإقناعها بأن الحب يعني الخوف والخنوع؟

جلست في السرير محدّقة إلى ضوء المصباح الذي انار الغرفة. كم كانت غبية، عمياء ومجنونة!! لقد قدّم لها كينغسلي قلبه لكنها لم تصغِ إليه، ما الذي فعلته؟.

تشنجت معدتها فنهضت من السرير متلمسة طريقها إلى المطبخ واعدّت لنفسها فنجاناً من القهوة القوية. لِمَ لم تجد الشجاعة لتقول له إنها تحبه؟ وهو لم يتصل بها أو يستعلم عنها منذ رحيله لكن لا يمكنها لومه. من الواضح أنه تخلى عنها لكن كيف تستطيع العيش في عالم لا وجود لكينغسلي فيه، ومن دون أن تكون معه؟ لن تتقبل فكرة أنه حرّ في الخروج مع امرأة اخرى، وفي الزواج منها.

تأوهت وأراحت رأسها على طاولة الطعام لدقيقة. كانت ترغب في البقاء معه أكثر من أي شيء آخر لكن قصص الماضي المرعبة شغلتها فلم تعترف بذلك.

عندما رحل، اعتقدت ان الانفصال سيجعله يرى أنها محقة وأن لا مستقبل لهما معاً. ماذا لو اقتنع بذلك حقاً؟ يا لسخرية القدر! عندما غيّرت موقفها، غيّر هو بدوره موقفه.

وفيما كانت ترتشف القهوة الساخنة فكرت: ما العمل، ماذا سأفعل؟... لو أنه يحبها... لو أنه يحبها فعلاً لما ردعه شيء. هذا هو كينغسلي الذي تعرفه. إذن... هل تعتقد فعلاً أنه يحبها؟ شعرت بفرح كبير لم تشعر به منذ صغرها. نعم... بدا لها منطقياً أن تظن أنه لم يغير موقفه. لقد قادتها مخاوفها ومشاعرها إلى درب واحد لكن يجب أن تحتكم إلى المنطق وأن تثق بنفسها. لا يمكنها الاستمرار في الشك بنفسها وبه إذا أرادت أن يُكتب لعلاقتهما أي مستقبل، وهي ترغب ببناء مستقبل لها مع كينغسلي...

وجدت نفسها تذرع المطبخ الصغير فتوقفت فجأة بعد أن أدركت

مدى توترها. عليها الاتصال بالمطار لمعرفة موعد وصول رحلته. حينئذ، ستلقاه مهما كان موعد وصوله وستكون بانتظاره.

نظرت إلى ساعة المطبخ ففكرت في أن تتصل أولاً بالمطار في حال كانت الرحلة مبكرة. أجابها صوت مجهول في المطار بأن ما من طائرات قادمة من جامايكا اليوم بسبب الإعصار. وبالتالي، أُلغيت الرحلات المتوقعة كلها وطلب منها معاودة الاتصال في الغد فربما تطرأ مستجدات.

وضعت السماعة بحذر ويداها ترتعشان ثم رفعتها مجدداً للاتصال بسكرتيرة كينغسلي في لندن قبل أن تتذكر أن الساعة لم تتجاوز الخامسة فجراً.

كانت الساعات الأربع التالية هي الأطول في حياتها. فاستحمت وغسلت شعرها ونظفت المطبخ واعادت ترتيب كل شيء مجدداً. في هذه الأثناء، كان عقلها يصوّر لها كينغسلي مدفوناً تحت الركام أو عالقاً أو جريحاً أو ما هو أسوأ من ذلك.

اتصلت بجيني عند الثامنة وأعلمتها بأنها لن تصل إلى المكتب إلا في وقت متأخر.

وفي التاسعة، اتصلت بسكرتيرة كينغسلي في المكتب فردت الفتاة بتهذيب:

ـ أهلاً آنسة ملبورن. رقم السيد في جامايكا؟ طبعاً. انتظري لحظة.

وأعقب ذلك صوت أوراق قبل أن يعلن ذلك الصوت بهدوء: «أمر مؤسف لصديقه، إذ لم يمضِ الكثير من الوقت على زواجه. والآن يسود الرعب بسبب الإعصار».

وغاص قلب روزالي: «هل توفي صديقه؟؟».

ـ آه لا، لكن يبدو أنه شُلّ مع أنهم لم يستطيعوا نقله بعد إلى مستشفى في الولايات المتحدة.

دوّنت الرقم وشكرتها ثم وضعت السماعة وقد لاحظت أن يديها ترتعشان بقوة وأنها لا ترى الأرقام جيداً.

إنها قرابة الساعة الثالثة فجراً في جامايكا. فهل تنتظر قليلاً أم تتصل الآن؟ اقرت بأنانية بأنها ستتصل الآن فهي تود التحدث إليه لإطلاعه على حقيقة شعورها إذ قد لا تتمكن من الإفصاح عن مشاعرها إذا ضرب الإعصار المكان. وانقبضت معدتها لمجرد التفكير في الأمر.

بدا صوت عامل الاستقبال متعباً إذ لا بدّ أنه تلقى الكثير من الإتصالات من أقارب وأصدقاء قلقين. لكنه حوّل اتصالها إلى غرفة كينغسلي من دون جدل بعدما أشار إلى أن السيد وارد انضم إلى نزلاء آخرين يستعدون للجوء إلى القبو.

رُفعت السماعة على الفور: «ألو؟».

ـ كينغسلي، أهذا أنت؟ أنا روزالي.

ـ روزي...

راحت تغالب دموعها التي انهمرت من عينيها لشدة ما ارتاحت بعد أن سمعت صوته. عجزت عن مواصلة الكلام فيما ازداد التشويش على الخط. جاء صوته بنبرة أقوى: «روزي؟ أما زلت معي؟».

كانت شفتها السفلى ترتجف بشدة فعجزت عن الكلام: «أنا جد آسفة. هل يمكنك مسامحتي؟».

ـ روزي، لا أستطيع سماعك... بسبب العاصفة... عليك أن تصرخي.

صاحت عبر الهاتف: «هل تستطيع ان تغفر لي؟».

وتمالكت نفسها لتصرخ مجدداً: «كنت شديدة الغباء».

ـ لا، لستِ غبية.

وغاب الاتصال ثم تقطع ليعود صوته مجدداً وهو يقول:

ـ بل شجاعة، ألا تدركين ذلك؟

ـ لا أستطيع سماعك.

ـ قلت إنك أكثر النساء جرأة. اسمعي، لقد بدأت الأمور تتفاقم.

أعقب ذلك لحظة صمت قبل أن يغيب صوته ليعود مجدداً.

ـ ماذا؟ كينغسلي. لا أستطيع سماعك ولكن أود أن تعلم أنني آسفة وأنني أحبك وعليك توخي الحذر.

سمعته يتكلم هو أيضاً من دون أن تفهم ما يقول. وكانت شبه واثقة من أنه لا يستطيع سماعها.

ـ كينغسلي، إذا اردت الذهاب والاحتماء فاذهب. أحبك... أعلمني أنك على ما يرام عندما تستطيع.

وعندئذ، انقطع الاتصال. وضعت السماعة وانفجرت بالبكاء. إنه في خطر وهي ليست واثقة من أنه علم أنها تحبه أو أنه سمع شيئاً مما قالته.

أمضت ما تبقى من النهار مسمّرة أمام التلفاز فيما كانت الأخبار ترد عن انحسار الإعصار الذي لم يخلف ضحايا.

تناولت روزالي كميات من فناجين القهوة وعجزت عن تناول الطعام. وعندما اتصلت بها بيث في المساء بعد سماعها الأخبار على التلفاز، كانت شبه مجنونة.

قالت بيث لدى سماعها صوت روزالي المضطرب: «سآتي على الفور».

ـ لا، أنا فعلاً بخير.

ـ سآتي. فجورج ذهب لحضور مؤتمر ولن يعود قبل الغد. لذا يمكننا أن نتشارك في القلق.

ثم أضافت بنبرة الأم الاعتيادية: «هل أكلت شيئاً؟».

ـ لا أريد شيئاً.

ـ أراك بعد قليل.

وقبل أن تدرك، كانت بيث على العتبة تحمل علباً من مطعم صيني وبعض زجاجات العصير.

ـ أنا لست جائعة.

كانت روزالي مصممة على عدم معاودة البكاء فهي لم تبكِ منذ سنوات. لكن، ومنذ ظهر كينغسلي في حياتها، راحت تذرف الدموع.

تجاهلتها بيث وأسرعت إلى المطبخ لتسخين الطعام وفتحت زجاجة العصير وهي تقول: «صغ إليّ. لقد تعرضت المنطقة لأعاصير أسوأ من هذا، وهي تقليد سنوي كالعاصفة الثلجية لدينا».

وانعكس رأي روزالي في هذه المقارنة المثيرة للشفقة على وجهها.

ـ سيكون كينغسلي على ما يرام. ولن تساعديه أو تساعدي نفسك إذا مرضت. ستأكلين وتشربين وستنتظرين حتى يكلمك فالخطوط الهاتفية تتعطّل دوماً في هذه الأوضاع.

ناولت بيث روزالي كأساً كبيرة من العصير وأمرتها بالنبرة التي تستعملها عند الحاجة متوقعة الطاعة: «إشربي الآن».

شربت روزالي فاستراحت معدتها المنقبضة. قالت بيث بحدة: «اذهبي واعدي الطاولة لاثنين. سنأكل أولاً. وعندئذ، يمكنك اطلاعي على الأمر برمته».

تفاجأت روزالي حين وجدت أنها التهمت صحنها.

بعدئذ، جلست المرأتان تناقشان الوضع حتى وقت متأخر من الليل. ومع حلول الثانية فجراً، اقنعتها بيث بالخلود إلى النوم فيما تتولى هي الجلوس قرب الهاتف.

قالت بيث بصراحتها المعتادة: «تبدين مزرية. اذهبي للنوم وإلاّ سيعود ليجد عينيك منتفختين».

ذهبت روزالي إلى الفراش وهي تتذمر من أنه لن يغمض لها جفن، لكنها استغرقت في النوم ما إن وضعت رأسها على الوسادة. فقلة الراحة التي عانت منها في الأيام القليلة الأخيرة ومفعول الطعام المريح جعلاها تنام بعمق.

نامت أربع ساعات متواصلة لكن عقلها الباطن نبهها إلى وجوب الاستيقاظ. كانت تشعر بتحسن حين دخلت غرفة الجلوس لتجد بيث تشخر بنعومة في كرسيها قرب الهاتف.

بعد تناول الغداء في اليوم التالي، عادت بيث إلى منزلها بعد أن

وعدت روزالي خالتها بالاتصال بها ما إن ما تعرف أي خبر. وما إن انصرفت المرأة الأخرى حتى رن الهاتف: «روزي»؟

كان الاتصال من كينغسلي فشعرت بقلبها يخبط بين ضلوعها وينتفض فصاحت: «كينغسلي»!

وأدركت أن صوتها بدا مخنوقاً لكنها لم تستطع القيام بشيء حيال ذلك. أعلنت يائسة وهي تخشى أن تفقد الاتصال به مجدداً: «كينغسلي، أحبك. كنت مخطئة في كل شيء وأريد أن نبقى معاً. هل تستطيع أن تسمعني؟».

ـ أسمعك حبيبتي.

حبيبتي! لقد ناداها حبيبتي. وانهمرت الدموع على وجهها مجدداً لكنها لم تبالِ.

ستبكي كل يوم من حياتها إذا عنى ذلك سماعه يناديها بحبيبتي.

ـ اسمعي. عثرت على رجل يحمل هاتفاً خلوياً. ما زالت المنطقة مغلقة وهو يريد القيام باتصالات طارئة لذا علي أن أتكلم بسرعة.

ـ هل أنت بخير؟ ألم تصب بأذى؟

ـ أنا متسخ وجائع وعطشان لكني لست جريحاً. الدمار والأذى طال البنى التحتية في المدينة والعديد من الناس يساعد على إخراج بعض الناس العالقين.

ـ كن حذراً ولا تغامر أرجوك.

بدا صوته ناعماً عميقاً حين قال: «أسعدني اتصالك بالأمس».

فارتجفت وردّت: «وأنا ايضاً».

ـ أحبك.

ـ وأنا أحبك أيضاً.

وتذكرت فجأة أنها لم تسأل عن صديقه فقالت بسرعة: «وكيف حال آلكس»؟

ـ ليس بخير.

وفجأة، استشفت نبرة الارهاق في صوته: «كنت أحتاج فعلاً لذاك الاتصال منك. لحسن الحظ أن الإعصار لم يدرك المستشفى».

ـ كينغسلي، هل تغفر لي؟

ـ دائماً يا حبي.

ازدردت بريقها وأطلقت آهة من دون وعي منها: «ومتى تظن أنك تستطيع مغادرة الجزيرة؟».

ـ نحن بانتظار ذلك. اسمعي، علي الذهاب. أراك لاحقاً.

لا، لا، ليس بعد. ودت لو تحتج فهي تشعر بأن سوءً سيحدث. قد يطرأ حدث ما قبل أن تراه مجدداً وأن تصلح الأمور.

لكنها قالت عوضاً عن ذلك: «اعتني بنفسك».

ـ سأفعل، إلى اللقاء روزي.

ـ إلى اللقاء.

كان لديها الكثير لتقوله. وما إن وضعت السماعة جانباً حتى استعادت فحوى حديثهما. أرادت إفهامه السبب الذي يمنعها من الالتزام به ولما أحبته كثيراً وكم هو مميز بالنسبة إليها.

جلست لبضع دقائق، تستجمع أفكارها وتستعيد لحظة قال لها حبيبتي. ثم اتصلت ببيث التي بدت سعيدة من أجلها.

ذهبت إلى غرفة النوم واستلقت على السرير بملابسها بعدما خلعت حذاءها ثم استغرقت في نوم عميق دام ساعات.

استيقظت على رنين الهاتف مجدداً فقفزت عن السرير والتقطت السماعة لتسمع بخيبة جعلتها تعضّ شفتها صوت بيث الودود: «آسفة لي. هل ظننتني هو؟ لكنني تساءلت عما إذا كنت تشاهدين التلفاز الآن. سيبثون أخباراً عن الاعصار بعد لحظات وظننت أن الأمر قد يهمك».

نجحت في إضفاء الحماس على صوتها وشكرتها قائلة: «سأديره الآن».

وبعد عشر دقائق من مشاهدتها التلفاز تحوّلت إلى قطعة من الصخر وبدأ العالم يتهاوى شيئاً فشيئاً من حولها.

***

١٠ ـ ذات عاصفة

ـ روزالي، أنا واثقة من أن ثمة تفسير منطقي. لا تتخذي أيّ قرار قبل أن تسمعي ما لديه؟

أصغت روزالي إلى بيث التي اتصلت بعد انتهاء النشرة الإخبارية ووافقتها الرأي قبل أن تعيد سماعة الهاتف إلى مكانها.

جلست طويلاً في غرفة الجلوس الهادئة محاولة إيجاد مبرّر لما حدث. في النهاية، أدركت أنها عاجزة عن ذلك.

أظهر التقرير الإخباري المصوّر الجانب الانساني من الحدث مشدّداً على أن الطبقة الفقيرة هي التي تأثرت بالإعصار. لكن السوّاح والزوّار الذين كانوا في المنطقة هبّوا لمساعدة عمّال الإنقاذ.

وفجأة، انتفض قلبها بين ضلوعها لرؤية كينغسلي فحبست أنفاسها وشعرت بجسدها غريباً، متوتراً ومتألماً كما لو أنها تعرّضت للضرب.

كان في موقع الكارثة منشغلاً بمساعدة عجوز عالق تحت كومة من القرميد. تعلقت عيناها بالقامة السمراء المديدة فلم تنتبه لأي شخص آخر إلى أن انضمت إليه سمراء مثيرة مألوفة لديها. ولم تشعر الآنسة كناري بالخجل إذ عانقته على الملأ بعد أن ارتمت بين ذراعيه.

عند هذا الحد، انتقل البث إلى قصة أخرى، غير أن صورة كينغسلي وشقيقة صديقه حُفرت في ذهن روزالي.

زفرت بحدة. حتى بيث اقرّت بأن العناق لم يكن أخوياً. بإمكانها تفهم حضور شقيقة الكس لرؤية أخيها بعد الحادث كما أن كينغسلي

يعرفها منذ سنوات، لكن ذاك العناق...

ما الذي ستفعله؟ الحقيقة تجرح وتؤلم. انتفض جسدها من الألم كما لو أنها مصابة بالتهاب ما، لكن هذا ليس التهاباً إلا إذا شبّهنا الحب بفيروس.

ماذا قالت لنفسها في الساعات الأربع وعشرين التي سبقت هذا المشهد، أي عندما قررت أن تسير قدماً في هذه العلاقة؟ لقد خدعتها مخاوفها ومشاعرها وضللتها لكن يجب أن تحتكم إلى المنطق حين يعانق رجلها امرأة أخرى أمام الملايين...

هل من المنطقي أن تعانقه الآنسة كناري؟ هل عليها أن تتريث حتى يعطيها تبريراً أو تفسيراً. يا لسخرية القدر! لقد عجزت عن الاتصال بكينغسلي في هذه اللحظة بالذات لتسأله عما يفعله بتلاعبه بمشاعرها.

هل يمكنها أن تتصوّر مستقبلها مع رجل لا يمكنها الوثوق به؟ هل يود كينغسلي بناء مستقبله مع امرأة لا تثق به؟

نهضت روزالي وتوجهت من غرفة الجلوس إلى الحمام حيث غسلت وجهها الملطخ بالدموع قبل أن تستقيم وتنظر إلى نفسها في المرآة الصغيرة المستديرة فوق المغسلة.

لقد بكت ما فيه الكفاية. وسرى تيار حار في دمها لمجرد تفكيرها بالموضوع فأخذت نفساً عميقاً وقالت بصوت عالٍ: «تعبت من البكاء».

لن تفعل ذلك ثانية فسيتصل بها كينغسلي قريباً. ضاقت حنجرتها. لن تمثّل ولن تدّعي أنها تشعر بشيء آخر عدا ما تحسّه. ستسأله عن آل كناري بهدوء، لكن حين تراه وجهاً لوجه. فبهذه الطريقة، ستدرك ما إذا كان يكذب عليها.

أنبأتها غريزتها بضرورة الهرب فوراً، أي التهرب من أي التزام، من المواجهة، من كينغسلي، من الحب. لكنها غدت الآن امرأة ناضجة ولم تعد تلك الطفلة الخائفة المشوّشة التي فقدت للتو أكثر شخصين عزيزين على قلبها في العالم. كما لم تعد تلك المراهقة الشابة التي تداعى حبها

بأبشع طريقة يمكن أن يتصوّرها العقل. عليها أن تواجه الواقع لكن ليس بطريقة هستيرية. لن تستطيع التغاضي عن الموضوع والتظاهر بعدم حصول شيء.

وأدركت فجأة أنها تصرفت على هذا النحو مع مايلز فتجاهلت الأقاويل عن علاقاته لأنها لم تستطع أن تحتمل فكرة أن يقوم بذلك. لكنه فعل لأنه كان ضعيفاً ومشوّشاً وليس لأنها لم تكن ترضيه. كان مايلز رجلاً انفعالياً، غير سوي، مجنوناً وشريراً. كينغسلي... آه كينغسلي! أرجوك لحضر فوراً! أرجوك أعطني جواباً أصدّقه لأنه الحقيقة!

اتصل بها في اليوم التالي: «سأعود إلى البيت يا روزي».

أحبت طريقته في ذكر «البيت» لكنها حذرت نفسها من الانجراف لكي تتمكن من التمييز بوضوح عندما تسأله عن تلك اللعوب.

- ستحط الطائرة في مطار هيثرو عند السابعة من مساء الاثنين.

اقترحت بحذر: «سألاقيك هناك».

- كنت آمل أن تقترحي ذلك.

كان يبتسم. أدركت أنه يبتسم فشعرت للحظة بالغضب لمزاجه المرح والضاحك. أخذت نفساً عميقاً، وسألته: «كيف تجري عمليات الإغاثة؟».

- ليست سيئة. يصعب على المرء رؤية الفقر في بعض الاماكن، لكن مفهوم العائلة قوي هنا.

سألت بحذر أكبر: «وآلكس؟».

- أحضر والده طبيباً من الولايات المتحدة وسيتم نقله مع نهاية الاسبوع...

قاطعته: «والده؟».

لم تعد تستطيع التماسك لكن عليها أن تكون قوية. سألت:

- لم تكن زوجته وحدها معك هناك؟

- لا، كلهم هنا.

ردّت بمرح: «أحقاً؟ جميل».

سألها بنعومة: «ما الخطب؟».

راوغت بحذر: «خطب؟ لا شيء».

ـ لا أصدقك ولكن علي الذهاب. انتبهي لنفسك حبيبتي. سأراك غداً. أحبك!

ـ أحبك!

كان بمقدورها قول ذلك بصدق. لكن الناس الذين يُفترض بهم أن يحبوك أكثر، ينتهي بهم الأمر إلى إيذائك. أغمضت عينيها لبعض الوقت بعدما وضعت السماعة. هل سيؤذيها كينغسلي؟ لقد سبق لها أن جرحته عندما تركته يبتعد.

تغيرت الأمور كثيراً منذ قررت أنها تريد البقاء معه. لقد قضى على مخاوفها لكنها استمرت في تعقيد حياته عندما رفضته قبل أن يسافر إلى جامايكا. والآن، قد تؤذيه مجدداً عندما تسأله عن شقيقة آلكس، لكنه رجل وليس طفلاً.

لقد تورطت مع مايلز وعانت الأمرّين وبدت مرعوبة من غضبه. إن كان كينغسلي يريدها، فسيلاقيها في منتصف الطريق. قد لا يحب ما ستقول لكنه يستطيع التعامل مع الواقع، فهو من هذا النوع. وازداد الألم في داخلها.

أرادت أن تؤمن بالحب الذي يدوم إلى الأبد، ولا يسعها أن تصدّق مدى شوقها إلى ذلك. لكن ألا يعتبر ذلك ضعفاً؟ وتوقفت عن التفكير في ذلك عندما لم يعد باستطاعتها تقبل فكرة تعرّضها للخيبة. لكنها تجرأت مع كينغسلي على التمني من جديد. هل ستمتلك الشجاعة لسؤاله عن شقيقة آلكس عندما يقف غداً أمامها فيمكنها أن ترى ما ستخسره؟ تمنت ذلك. لم تشأ أن تصاب بخيبة أمل في حين بدأت تحب ما تراه في المرآة للمرة الأولى منذ خمس سنوات. جرّبت ما تملكه من ملابس أنيقة وعملية عشرات المرات في الساعات الثلاث الأخيرة، لكنها سرعان ما تركت

الطقس يقرّر عنها.

كان البرق يضيء قرميد الأبنية فيما يدوي الرعد بقوة لكن السماء لم تمطر بعد وبقيت الحرارة خانقة. انتقت ثوباً خفيفاً من الحرير الأبيض ينسدل حتى كاحليها فبدا منعشاً ورائعاً. بدت بسيطة وأنيقة في آن معاً فهي لم تشأ أن تعطي الانطباع أنها تأنقت خصيصاً من أجله.

حطّت الطائرة في موعدها فراح قلبها يتخبط بقوة في صدرها. كانت حواسها كلها مرتبطة بمجيء كينغسلي.

عندئذ رأته، طويلاً، واثقاً من نفسه وجذاباً لدرجة لا تُصدَّق. فكرت في سرّها: لقد وهبت روحي لهذا الرجل وأخبرته أموراً لم أشأ إطلاع أحد عليها. كيف حصل هذا؟ عندما رآها رفع يده فيما انفرجت أساريره بابتسامة جعلت قلبها يقفز. وصل إليها ورمى حقيبته ثم أخذها بين ذراعيه قائلاً:

ـ حبي!

فداعبت رائحته الزكية أنفها وأرسل جسده الصلب شعوراً بالحذر سرى في عمودها الفقري. دام العناق بضع لحظات لكنها ارتجفت عندما تركها. أبعد خصلة من الشعر عن وجهها وهو يقول: «تبدين جميلة، مذهلة...».

تمكنت من القول بمرح: «أنت تبالغ قليلاً لكنني سأتقبل صفة «جميلة»».

كشر في وجهها فيما أمسكت يداه وجهها كما لو أنه لا يستطيع تحمل عدم ملامستها وأردف بنعومة: «لقد حلمت بك كل ليلة ولكن لا شيء أجمل من الواقع».

كينغسلي، كينغسلي! لم أشأ أن أغرم بك إذ لا يدخل ذلك ضمن مخططاتي. لكن كيف يسعنا إيقاف ما يستحيل إيقافه؟

نظرت إلى زحمة الناس وقالت بصوت منخفض: «هلا ذهبنا؟».

نظر إليها متأملاً لكنه لم يقل شيئاً بل تناول حقيبته وأمسك بذراعها

كما لو أن مكانها الطبيعي إلى جانبه. كانت راضية بمكانها... قانعة جداً.

عندما خرجا، لاحظت أن أولى قطرات المطر راحت تنهمر من السماء فقالت بهدوء: «لقد هبت العاصفة».

غريب! لقد بقي الطقس على حاله أياماً ولم تفجر عناصر الطبيعة غضبها إلا لحظة لقائهما.

كان كينغسلي يشير إلى سيارة أجرة حين تساقطت زخات المطر فبللتها قبل أن تتمكن من الصعود إلى السيارة.

أعاد كينغسلي ترتيب شعره المبلل وهو يشتم فقميصه الأسود وبنطاله تبللا لكنه حافظ على مظهر لائق. تساءل حانقاً: «ما الذي يجذب الرعد والبرق إلي؟».

كان يمازحها لكن تعابير وجهها استرعت انتباهه، وعندما انطلق السائق مسرعاً، قرّبها منه وهو يقول وقد خلا صوته العميق من أي تسلية: «هل أنت بخير؟ يفترض أن يكون لقاؤنا رومانسياً لا مأساوياً».

ارتعشت ولم يكن السبب بللها وحده. أرادت أن تتريث حتى يصلا إلى الشقة قبل أن تقول شيئاً. شعرت بدفء جسده فحبست أنفاسها. قد تفسد الأمور هنا فهي تريد احتضانه والتحدث إليه وإظهار حبها له، لكن يجب أن تعرف الحقيقة. لم تكن تعلم كيف تبدأ فسألت وأنفاسها مقطوعة: «هل حلمت بي فعلاً؟».

ـ طبعاً.

رفع ذقنها وعانقها بطريقة جعلتها ترغب في المزيد ثم قال: «هيا افصحي عما يجول في بالك».

لن تبدأ باتهامه بل ستسأله وحسب.

تمتمت بطريقة مخالفة لما أملت: «رأيتك على التلفزيون».

ـ ماذا؟

من الواضح أنه فوجىء تماماً إذ بدا أنه يتوقع أمراً آخر.

كرّرت كلامها: «في النشرة الإخبارية. كانوا يجرون مقابلات عن الإعصار وكنت في خلفية الصورة تحاول إنقاذ رجل عجوز».

كانت تنظر إليه بحذر شديد فعبس: «حسناً لقد أرسلت لك قبلة على حد علمي».

تصلب جسمها رغماً عنها، ورفعت حاجبيها بتساؤل: «في الواقع، كنت مشغولاً بمشهد آخر».

لقد خسرته... استطاعت أن ترى ذلك في وجهه المذهول. قال ببساطة: «أي مشهد؟».

ردّت بضيق: «مشهد العناق، وماذا غير ذلك؟».

ـ روزي اعذريني لكنني لا أملك فكرة عما تتحدثين.

ـ ألا تذكر؟

هل هذا مؤشر جيد أم سيء؟

عبس فيما حمل صوته نبرة نفاد صبر: «يمكننا الاستمرار على هذا النحو طيلة الليل فلما لا تفصحين عمّا يجول في ذهنك ولننتهي من الأمر؟».

ـ أنت وتلك الفتاة.

تباً! لم تقصد أن تتكلم على هذا النحو واحمرّت من الغضب وصححت: «أعني أنت وشقيقة آلكس».

ـ آلكس؟ أتعنين أن تريكسي ظهرت في الصورة؟ أهذا ما ترمين إليه؟ و انفكت عقدة جبينه...

تريكسي؟؟ هل هذا اسمها الحقيقي؟ كان لجدتها هرة بهذا الاسم.

قالت بهدوء: «لم تظهرا وحسب على الشاشة بل كنتما متعانقين».

حدّق إليها وضاقت عيناه فبادلته نظراته غير واثقة من رد فعله. حاولت أن تقرأ تعابيره لكنها عجزت عن ذلك.

بقي صامتاً للحظات طويلة. وكان الصوت الوحيد الذي يتناهى إليها هو صوت المسّاحات وقرع المطر على سقف السيارة. تململت روزالي

بانزعاج.

واشتعل وجهها غضباً لصمته وقالت: «رأيتها في صور زفاف آلكس عندما كنت الإشبين وهي الإشبينة... كانت ترتدي ثوباً أصفر».

استمر يراقب وجهها المحمر لبرهة ثم انفجر ضاحكاً ازاء التعاسة البادية عليها. فاستمرت في الكلام بحدة:

ـ كانت ملتصقة بك تماماً. وبدوت مستمتعاً بالوضع.

هز رأسه عابساً: «انتظري لحظة. تريكسي بمثابة شقيقتي الصغرى. لقد ربيتها، وأفسدتها من كثرة الدلال. ومجرد تلميحك إلى أيّ شيء خارج عن الحدود سخيف. تباً! إنها طفلة».

لقد عاهدت روزالي نفسها على التحكم بأعصابها لكنه أفقدها عقلها:

ـ طفلة؟ طفلة بمقاس جسدها ومؤهلاتها. ربما لم تلاحظ الأمر لكن للطفلة رغبات دفينة.

أنهت حديثها بحدة فقال: «روزي، إنها في العشرين».

ـ وماذا في ذلك؟ ألا تعرف رجالاً أقاموا علاقات مع فتيات يصغرنهم بعشر، أو عشرين أو ثلاثين سنة؟ إنها قصة شائعة.

ـ أنت غيورة.

ـ لا، أبداً.

ابتعدت عنه قدر المستطاع وأضافت: «أعتقد أن تصرفك أمام الملأ مشين... هذا كل ما في الأمر».

ـ أنت تغارين، أليس كذلك؟

سؤاله هذا خفف من حدة غضبها وتابع:

ـ تغارين من طفلة لا تملك ذرة عقل في رأسها وتثير الفوضى أينما حلت. تلك الطفلة هي المشاكل تسير على قدمين يا روزي ولطالما كانت. إنها تقودني إلى الجنون في أغلب الأحيان لكنها كما قلت لك بمثابة شقيقة لذا لا أمانع.

حدّقت إليه مشوّشة. لقد عنى ذلك... فكرت بدهشة في أنه يظن

فعلاً أن تلك الشابة الفاتنة هي مصدر للمشاكل لكنها تابعت تقول بعناد غير مستعدة للرضوخ:

ـ كنتما متعانقين ومن الواضح أنها لا تريدك شقيقاً.

ـ لقد عانقتني على ما أذكر عندما حملت إلي الأخبار الطيّبة. فالأطباء متفائلون بالنسبة إلى وضع آلكس وذلك للمرة الأولى منذ تعرّضه للإصابة. ربما احتضنتها لبعض الوقت، وهي تمر في سن يجعلها تعبث مع أي رجل لكن هذا لا يعني شيئاً.

حدّقت إليه جيداً فتغيّر صوته وبدا أنعم وهو يهمس لها: «تعالي إلى هنا... حبي».

وعندما ارتمت بين ذراعيه، قال: «أرى أنّ اقناعك بمقدار حبي لك سيتطلب وقتاً لكن اعدك بأن يكون الأمر ممتعاً لكلينا. لذا، ما رأيك بقضاء شهر عسل طويل؟ أريد ان اكتشف مزاجك في كافة الظروف. كيف تكونين وأنت نائمة، غاضبة، عاتبة، شريرة... وخصوصاً شريرة».

ـ كينغسلي....

ـ قولي نعم كينغسلي.

ـ ولكن...

ـ نعم كينغسلي!

عانقها وكأنه يطالبها بالرضوخ ثم رفع رأسه مدركاً أنها تذوب في أحضانه. كرّر مجدداً فيما تعلقت زرقة عينيه برماد عينيها: «نعم كينغسلي!».

أخذت نفساً عميقاً قائلة: «نعم كينغسلي... نعم، نعم، نعم...».

عانقها مجدداً، ثم سألها: «ما رأيك بزفاف سريع، سريع جداً؟».

ـ أجل.

كانت تغلي لفرط شوقها إليه.

تململ بخفة في مكانه ثم قال بانتصار: «لقد وجدت الطريقة المثلى للحصول على مرادي».

كان المطر ينهمر بقوة ويتدفق كشلال لكن روزالي لم تهتم. صحيح أن العاصفة هبت لكنها غدت الآن في أمان وستبقى كذلك طالما أن كينغسلي معها، فهو يحبها ويتفهمها وقد شعرت بقيمة ذلك. لقد استحق عناء الانتظار. بدا صوته أجش بفعل الرغبة:

ـ لا تشكي أبداً في حبي لك حتى ولو لدقيقة، أبداً. فكل المخاوف، وكل الشكوك سنواجهها معاً وفي حينها. أنت لست وحيدة يا حبي طالما أني أملك ذرة نفس في جسدي.

تعلقت به متمنية لو أنهما وحيدين لكنهما عالقان في ازدحام وسط شوارع لندن. إنما المستقبل بأكمله ينتظرهما وهو يمتد أمام ناظريها مشرقاً ورائعاً. تستطيع أن تمنح هذا الرجل الحب كله الذي خزّنته في قلبها لأنه لن يؤذيها فهما مرتبطان بقوة جمعت شملهما وستبقيهما على هذا النحو: قلب خافق في جسدين.

* * *